

دَليلُ الأخيارِ إلى معالمِ المسارِ

قراءة منهجية تحليلية حول أهم معالم المسار الجهادي



بقلم المجاهد جواد الجزائري

-حفظه الله-



منشورات شوال 1439هـ

دليل الأخيار إلى معالم المسار

قراءة منهجية تحليلية حول أهم معالم المسار الجهادي

بقلم المجاهد: جواد الجزائري

منشورات شوال 1439 هـ

فهرس المواضيع

العنوان: الصفحة

❖ مقدمة للقارئ 5

❖ حكاية الرواد مع أمّتهم 6

❖ تقديم لمواضيع البحث 9

❖ المبحث الأول: النقد والتقويم معضلة المدرسة الجهادية 11

- حقيقة التقويم وممارساته 12
- المدرسة الجهادية وأهم مخرجاتها 13
- التيار السلفي الجهادي وممارسته للتقويم 14
- التقويم والنقد من داخل التيار السلفي الجهادي 14

❖ المبحث الثاني: الفكر الجهادي بين القداسة والريادة 17

➢ المحور الأول: القداسة في ميزان الحق 18

- النقد الذاتي سبيل البناء الصحيح 21
- قداسة الأتباع في ميزان الحق: «إنك امرؤ فيك جاهلية» 24
- قداسة الشعار في ميزان الحق: «ما بال دعوى الجاهلية» 25
- قداسة الرموز في ميزان الحق: «فصَفْوُه لكم وكدره عليهم» 28

➢ المحور الثاني: الريادة في ميزان الحق 33

- أولا: الحقيقة الشرعية للريادة 34

1- الوراثة منّة المولى عز وجل على الأمة المستضعفة 36

2- الإمامة معلم لا يغيب والريادة دورها الأول 37

- ثانيا: معالم الريادة وشروطها 37

1- السير نحو الغايات العظمى 38

2- دعوة الأمة للاجتماع المتميز و تحمل تبعاته 39

3- اعتصام أفرادها بمواثيق الاجتماع والوحدة 45

العنوان: الصفحة

❖ المبحث الثالث: النظرية الملهمة لإدارة الصراع 52
➢ حقيقة النظرية الملهمة 53
● أولا: هل «النظرية» تصلح أن تكون مصدر إلهام للجماعة وتطبيقها يحقق المركزية 54
● ثانيا: هل «النظرية» أمر مقدس وتطبيقها مؤدي لإشكالية قداسة الرموز 55
1- قداسة النظرية 55
2- المركزية كإشكالية تصنع قداسة الرموز 56
- طرح التقوى والصبر مقابل الغايات والأصول المنهجية 57
- طرح الكفاءة وأصحاب السبق مقابل جودة الاختيارات 58
❖ المبحث الرابع: المنهجية الصحيحة لتطبيق «النظرية الملهمة» ... 60
➢ أولا: تكون النظرية واضحة الغايات 61
➢ ثانيا: تكون النظرية مفهومة الوسائل 61
➢ ثالثا: تكون النظرية واقعية وقابلة التطبيق 62
➢ دراسة نموذج تنظيم الدولة الإسلامية 63
● أولا: مشروع الدولة 64
● ثانيا: مشروع الخلافة 66
● **معالم «النظرية الملهمة» الخاصة بتنظيم الدولة الإسلامية** .. 67
● على المستوى المنهجي 69
● على المستوى السياسي 70
● على المستوى العسكري 71

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة للقارئ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة: 214]

... كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الشرح: 5-6]

وكما تكون الشدة ينزل من النصر مثلها ولهذا قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾

وفي حديث أبي رزين «**عجب ربك من قنوط عباده وقرب غِيَرِه**» الحديث... [رواه أحمد وابن ماجه وسنده صحيح]

* * *

حكاية الرّواد مع أمّتهم:

تعيش الجماعة الرائدة اليوم فتوّها وعصرها الذهبي وهي تعيش المرحلة الانتقالية من مهدها الذي كانت تتجرع فيه بياض المبادئ والأصول وتتهادى على الوقوف بعرصات اليقين والثبات إلى مرحلة الاستقامة والاستواء، لتشمر عن سواعد الجد وتلبس لأمة الحرب الخالدة لتعلن غايتها الماجدة ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: 39]

مسار شاقّ هي حكاية هذا الجيل الرائد مع أمّته.. جيل بارّ أراد أن تكون أمّته على سدّة المجد، فعاهد نفسه وأمّته أن يدلّها على طريق المجد، فسار بها في درب العزّ وهو متيقن أنّها الطريق الوحيد الموصل إليه..

فكان أن استصغرته طائفة واستهانت به أخرى وتوجّست منه طائفة وخوّنته أخرى وعاتبته طائفة وحاربته أخرى وتبعته طائفة وخانته أخرى .. الحقّ مرّ وأتباعه قليل..

الجيل الأوّل الذي حبا على ثرى ومهد الحركة الجهادية والذي اندملت ركائبه دما وهو يحاول الاستواء، تعلّم درسا ثمينا وعميقا عمق الهوان الذي أصاب أمّته وهو أنّ صناعة الوراثة لهذه الأمّة لا يكون إلّا بالبذل والعطاء والتضحية وأمّا الحسابات المادية التي تتجاوز هذه الحقائق فلا نصيب لها في صناعة الوراثة مهما كان شكلها ووضعها وعلى هذا تواصى روّاد الجهاد لتتوارث الأجيال جيل بعد جيل هذه الخصلة حتى لا تتعلّق الأقدام أو تثقل وهي تواجه الصعاب لتصبح هذه الخصلة علامة من علامات أهل الريادة تدلّك عليهم إذا تزاحم الأدعياء فيكفيك وقتها أن تقول هل من دماء في سبيل الدين؟! أو تسأل أين أشلاؤكم وشهداؤكم؟! لترى من يجيبك ومن ينظر إليك نظر المغشي عليه من الموت...

دارت رحى الحرب بين الحقّ و الباطل واشتدّ صريمها عندما رفض الطغاة انعتاق الأمّة من تحت سلطاهم فأعمل السلاح واقترب الموت والقتل من حناجر الناس، وما كان من بدّ إلاّ دفعه، فتداعى الناس بأسباب الدفع لتأخذ كل طائفة ما يناسبها من هيأة تتناسب وحالها وفهمها، ليخرج بعدها من لم تعركه الأيام والحروب ليتصدر الساحة..

طالت الحرب و لم تقصر وزرع الكثير من ذواقم وأموالهم ولكنّها لم تثمر، فاستعجلت طائفة الثمار واستبطأت أخرى النصر، و استعظم الكثير الضريبة..

فقال لهم **أهل الريادة** نحن منكم وأنتم منّا ..ودماؤكم دماؤنا والصبر يجمعنا والعاقبة لمن اتقى...

فلم يصبروا وقالوا صبركم أفني الأمّة و لم تقم لمشاريعكم قائمة.. فصبر الذين فهموا على الذين لم يفهموا، لأنّ الذين فهموا علموا أنّ التوقّف في منتصف الطريق قبل بلوغ قمّة الاستواء أين يرتكز اللواء، يعني التقهقر في منحدر التنازلات حتّى الحضيض أين يتمّ الاحتواء ويتبرّأ فيه من الشهداء وأشلاء الرفقاء...

أكمل أهل الجهاد مسيرهم ولابدّ أن يفعلوا ولسان حالهم يقول:

دعوني أجد السعي في طلب العلا *** فأدرك سؤلي أو أموت فأعذر

وفي الوقت الذي حمي فيه الوطيس بين معسكر الإيمان ومعسكر الشيطان، واصطفّ جنود الرحمان على عدوة النزال كأنّهم بنيان مرصوص، وقلوب الناس مشرئبّة وأبصارهم شاخصة لمن يا ترى ستكون الغلبة؟! تداعت الميمنة والميسرة ؛ أنْ توقفوا .. فعجب القلب ما بال الأطراف!! حتى يقولوا كلمتهم وما خطبهم..

أيّام كالأيّام الخوالي وعند منعرج اللّواء وقرب الاستواء تكون أيّام تسمّى بأيّام الأشقياء، يصاب فيها أصحاب الخير والصّفاء بعيّ وبلاء، ولعلّها منّة الله ليتمايز الصفّ ويخرج عنه الأدعياء، سنّة الله قبل كلّ عطاء..

محن وبلاء؛ هي سنّة الله لهذه الطائفة حتّى يتمّ استخلاصها وحدها لصناعة الوراثة، و لم يكن ليبلغ شأنها شأن الوراثة حتى ترى من أشكال الباطل ما يشبه شكلها وسمتها ومن يدّعي سنّتها وهديها، حتّى لا يبقى من ريب يكدّر صفو الوراثة وعدلها إلاّ وعالجته، وكان منبت هذه الأشكال غالبا من صلب أهل الريادة؛ تربّوا في أحضانهم ونهلوا من معينهم ليأخذوا سمتهم وشكلهم، فإذا فطم أحدهم نازعهم الخير وبذل لهم كل الشر، ولكن يأبى الله أن تصنع الوراثة بأيد أرادت سلب المترلة من أصحابها و لم تحسن سلب الشرف والصدق، و هما خصلتان لا صدر لهما إلا صدر الوفيّ الصبور، فهيهات هيهات أن يصنع الوراثة من لم يوف و لم يصبر..

حكاية الريادة وما عاناه أصحابها، هي أحد الأسباب التي أوقدت في نفسي فكرة نصب أعلام وعلامات على هذا الدرب، يستهدي بها كل من رام سلوكه أو معرفة حقيقته وحتّى لا يحيد من أراد

نصرة هذا الدين عن الدرب الصحيح وهو يرى للدرب شُعبا وسبلا كثيرة فيحار وقتها في المسلك المنجي.

ولست أدّعي بهذا العمل بلوغ الكفاية في سبل الهداية بل هي شمعة أوقدتها وإن تهافت نورها فهي في دجى الليل الدامس منار في بحر الفتن المتلاطم..

أما السبب الآخر هو محاولتي في هذه القراءة علاج بعض المسائل التي أشكلت والتي رأيت أنّ لها علاقة وطيدة بالنظريّة الملهمة التي يعتمد عليها أهل الريادة في عملهم الجهادي لتكون عونا لأهل الدرب ومرآة تستوعب جزئيّاتهم وحالهم وأفكارهم وممارساتهم حتى يتسنّ وزنها على موازين الحق والاعتدال.

وهي وقفات توقّفت معها وقفة المكاشف تارة ووقفة الناقد تارة أخرى، مستدلا لها بما يتناسب وطبيعة المكتوب وإن كنت قد تجنّبت الإطالة والسرد حتى لا تكلّ همّة القارئ، وربّ لمحة أغنت عن لمحات، وهي مسائل وإن تشعبّت مشاربها إلاّ أنّ نسيجها واحد وحقّها ألا تفترق وهي حكمة الله في تعاضد أحكامه.

وعنوان هذه الورقات كما هو مدون في صدرها «**دليل الأخيار إلى معالم المسار**» ينبّئ بمحتواها فهو إيقاد للنّور على كل معلم لكي لا يذهل الناظر عن وجهته فيحيد ويحيد قصده، والله وحده الهادي إلى سواء السبيل. فلا تذهل إذن يا أخي عن هذه المعالم فهي بإذن الله لك دليل ولنفسك حرز وحصن حصين والله وحده نسأله الهداية إلى سواء السبيل وبه نستعيذ من سبل أهل التحريف والتثبيط والتخذيل.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يبارك في عملنا هذا وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله لنا ذخرا يوم لا ينفع مال ولا بنون وأن يلهم به من رام فعل مثله أو خيرا منه حتى يستقيم القريب والبعيد على نور مناراته..

و نذكّر فنقول أنّه ما كان في هذه الورقات من خطأ أو زلل فهو من نفسي والشيطان، و ما جاء فيها من خير فهو توفيق من الله الواحد المنان.

والله وليّ التوفيق وصلّ اللّهم وسلم على سيّدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

كتبه راجي رحمة ربه: جواد الجزائري

تقديم لمواضيع البحث

المتصفّح للتراث المتنوّع الذي خلّفته الحركة الجهادية على طول مسارها وتاريخها المعاصر سيلاحظ غياب الأعمال والدراسات الخاصّة بعملية النقد والتقويم الشاملة والتي تأخذ في اعتبارها البعد الإقليمي والعالمي وكلّ ما كان يمارس على هذا المستوى كان لا يتجاوز المجهودات الفرديّة والتي لا تتعدّى نطاق التجارب الخاصّة بأصحابها.

وهذا الشحّ في هذا المجال لا محالة له تأثيراته المباشرة وغير المباشرة على المسار الجهادي وعلى أهمّ أركانه وهو «**النظريّة الملهمة**» التي هي مصدر الإلهام الحركي.

سنقف هذه المرّة عند هذا «**الواجب المهجور**» وقفة الباحث الناقد عن أهمّ أسباب ضعف المدرسة الجهاديّة في طرح قواعدها الصلبة لجعلها أركانا للبناء متوخّين انتهاج الأسلوب الأنسب لهذا النوع من البحث، وهو الوضوح التام في تحديد وجهات النظر المختلفة مع الاعتماد على الاستقراء العام والشامل للأحداث بغضّ النظر عن مواطنها، لأنّنا نعتقد اتساقها في أنماط متشابهة، وسنذكر كذلك بعض الشواهد المعزّزة لبعض المسائل وربطها بآثارها على الواقع آملين أن نصيب مناطات العلل ومكامن الخلل.

والحقيقة التي لا يسعنا تجاهلها في هذا الموضوع أنّ خوض هذا المضمار لهو عين المجازفة ولكن ما هوّن علينا اقتحام هذا المعترك هو ما آلت إليه الأحوال وما تعرّض له إرث هذه المدرسة العريقة من تجاذب الأطراف المختلفة له في سبيل صنع القداسة تارة وفي سبيل صناعة الريادة تارة أخرى، بغضّ النظر على أحقيتهم لهذه القداسة أو هذه الريادة.

الغلو في الحب والغلو في الكره مصيبتان متكرّرتان دوما، وهما معضلة الحركة الجهادية وهما سبب زعم بعض الأطراف للقداسة والريادة دون اعتبار لحقيقتهما الشرعية والقدرية، ومع غياب هذه الحقائق والمعايير التي تُنتهج لوزن القيم العمليّة على ما يقابلها من القيم الشرعيّة ضاعت النماذج الصالحة في عباب النماذج الطالحة لتضيع معها أهمّ الأشياء وهي صلابة النظريّة الجهاديّة في البناء الصحيح التي لطالما حاول أهل الصلاح رسمها وتوضيحها.

هذه الأمور التي ذكرت سلفا هي رؤوس الموضوعات التي سنحاول مناقشتها معتمدين على تسلسل الأفكار وسنبدأ بعون الله طرحها على الشكل التالي :

- **النقد والتقويم معضلة المدرسة الجهاديّة.**

- **الفكر الجهادي بين القداسة والريادة.**
- **النظريّة الملهمة لإدارة الصراع.**
- **المنهجيّة الصحيحة لتحقيق النظريّة الملهمة.**

وعلى هذا التسلسل في المباحث سيكون كلّ مبحث يوطّد لما بعده، فاختيارنا لموضوع التقويم ابتداء للتنويه بهذا الأمر المهمّ وإشعارا كذلك للقارئ الكريم بأنّ هذا البحث سيأخذ هذا المجرى، وهي مبادرة منّا كذلك للعاملين على درب الجهاد أن يهتموا بهذا الموضوع المهم، محاولا ترسيخ بعض الأدبيّات والأصول في هذا الفن. وسيجدها القارئ تتخلل المباحث جميعها.

أما سبب إيرادنا للمبحث الثاني على هذا الشكل هو لبيان مسألة مهمّة، تعتبر من أصول التقويم، وهي النقد البنّاء، والتي رأينا أنّ القيم السائدة التي خلّفتها الحركة الجهاديّة هي نفسها من حالت دون تفعيل النقد الذاتي والبنّاء.. وهو ما سنحاول معالجته عند ذكر العلاقة بين الأتباع وقياداتهم، وكذا علاقتهم بالغايات السامية وشعاراتها المختلفة، وعلاقة السياسة العامّة باختيارات القيادة مع ذكر بعض المسائل التي لها علاقة بالجماعة وأحكامها ولوازمها، وكذلك علاقة الجماعة المجاهدة بالأمّة.

هذه المسائل جميعها ستكون بإذن الله تمهيدا لما سنورده في المبحثين الأخيرين وهما مبحثان يبحثان في حقائق واقعيّة وممارسات فعليّة، من أهمّها النظر في الإطار العام للسياسة الحركية للجماعة المجاهدة حتى نصل إلى غاية المقارنة بين منهجين ونظريّتين مختلفتين، هما من مكوّنات الحركة الجهاديّة المعاصرة. وعلى هذا المنوال من الطرح سيجد القارئ الكريم نفسه بإذن الله قد استوعب الكثير من الإشكالات الواقعة على الساحة اليوم.

* * *

المبحث الأول: النقد والتقويم معضلة المدرسة الجهادية

حقيقة التقويم وممارساته:

ملكة النظر تنمو مع الفكر الإنساني كلّما كانت الحاجة تزداد لتطوير مستوى الأداء الذي بدوره يخضع للقواعد الكليّة و التي من أهمها «**التنافس من أجل التفوّق**».

هذا التنافس من أجل التفوّق لا يمكن أن يكون ممارسة فعليّة إلاّ إذا تمكّنت جميع الأطراف المتنافسة من تحديد مكامن القوة والضعف الخاصّة بها وبالطرف المقابل ليتمكّن كلّ طرف من استغلال هذه الأشياء في سبيل صنع التفوّق على الآخر.

قديما كان يُعتمد كثيرا على العقول المسنّة التي كانت تحمل في جعبتها الكم الكبير من التجارب والحكم بما يتعلق بمسارات الأحداث وطرق معالجة النوازل المترتّبة عنها حتّى أصبح أصحاب «**التجربة**» هم أصحاب «**الرأي**»، هذه العلاقة بين التجربة والرأي هو ما عاد يعرف اليوم بـــ"**التقويم الشامل**" الذي يرتكز على النظر الدقيق في التاريخ وهي «**التجربة**»، والنظر كذلك في الحاضر الراهن وهو الواقع لينشأ بعدها «**الرأي**» وهو محصلة النظر.

الذي ذكر سلفا هي العمليّة المنطقيّة لمفهوم التقييم وأي محاولة لبتر أو إلغاء لجزء من أجزائه كالنظر في التاريخ مثلا فهذا يعني في النهاية محصّلة مشوّهة.

يعتمد التقويم الشامل كذلك على أهمّ عنصر وهو «**النقد البنّاء**» وهي العمليّة التي تعتمد على الشفافية والحيادية التامّتين في تحديد وجهات النظر المختلفة وبدون لبس لإبراز نقاط الضعف ونقاط القوّة الناشئتين عن فترة معيّنة من المسار العملي.

ولا شك أن ممارسة النقد البنّاء يقع دوره المهمّ في فرز مختلف المواقف لتصنّف ضمن الخانة المناسبة لها، وأي فترة من المسار العملي خلت من عمليّة التقييم بممارسة "**النقد البنّاء**" هي مرحلة مشوشّة المعالم لا تمايز فيها بين المواقف الإيجابيّة والسلبيّة وهو بالذات الجوّ المناسب الذي تترعرع فيه الأفكار المتطرّفة وبقوّة، كونها لا تقتات إلاّ على المتشابه.

النقد بمفهومه العام وبدون تقييد تعتريه الكثير من الإشكالات بسبب إمكانيّة ممارسته بطريقة غير صحيحة، وقد يتحوّل في أي لحظة إلى أداة هدم إذا لم يراع فيه الضوابط الشرعيّة. ولمّا كانت قوى الشر أحرص الأطراف على إشعال الفتن بين صفوف سُعاةِ الخير تمّ العمل على خلق تيّار النقّاد المتخصّصين في

خلق الهدم الممنهج عبر صبغ هذا الهدم بصبغة البناء والحرص على الإصلاح وهو في حقيقته هدم يضرب في عمق القيم الفكريّة والعمليّة.❶

المدرسة الجهاديّة و أهمّ مخرجاتها:

في مطلع القرن العشرين وفي الظروف التي تلت سقوط الخلافة الإسلاميّة بدأ ظهور وتشكّل ما عاد يعرف بالجماعات المجاهدة، وما ميّز هذه الجماعات على غيرها من الطوائف المجاهدة عبر التاريخ هو تشكّلها على هامش الدوائر السياسيّة والتي كانت معظمها دوائر استعمارية تمارس الحكم عن طريق الانتداب أو التسلّط الكامل والمباشر لتتحوّل فيه هذه المناطق إلى إقطاعات كاملة الملكيّة لهذه القوى المحتلّة.

هذه الجماعات التي خرجت على هامش هذه الدوائر كانت تمارس الجهاد على أساس دفع الصائل الذي كان يهدّد مكتسبات هذه الأمّة، وهذه الظروف التي نشأت فيها كانت السبب الرئيسي في تشكّل الفكر الجهادي المعاصر بأدبيّاته وفقهه الخاص، والذي أخذ في التراكم تجربة بعد أخرى حتّى وصل إلى ما نحن عليه اليوم، ومن أجل هذا نستطيع أن نقول أنّ الفكر القائم أيّام الطلائع المجاهدة الأولى هو منطلق لعمليّة تلاقح الأفكار، ومحصّلة ذلك هو الفكرُ القائم اليوم.

الفكر الجهادي المعاصر يرتكز بالأساس في مصدره للتلقّي على ما توارثته الأمّة الإسلاميّة من إرث عظيم في أبواب الشريعة كلّها وخاصّة في باب الجهاد، وهذا الإرث الإسلامي الضخم في هذا الباب ازداد تضخّما في هذا العصر بسبب الممارسة المكثّفة لنصوصه، حتى أنّ الملاحظ لا يكاد يجد مسألة أو نازلة في هذا الباب المبارك إلاّ وقد أثيرت لتزداد معها التفرّعات الفقهيّة توسّعا، وهذا سببه حجم الرزيّة والبليّة التي عمّت الأمّة الإسلاميّة اليوم، ألا وهي غياب الحكم الإسلامي عن معظم إن لم نقل جميع بلاد المسلمين، ولا شكّ أيضا أنّ طبيعة الجهاد الممارس اليوم، والذي شمل جميع أنواع الجهاد، من دفعِ الكافر الأصلي مع دفع طوائف الردّة وصولا لدفع المخالفين، وما نتج من نزاعات داخليّة قد أعطى الفكر الجهادي المعاصر

---

❶- يجدر التنبيه إلى أنّ أعداء الإسلام عموما ،والجهاد خصوصا، أصبحت لهم القدرة الكبيرة على فهم الفكر الجهادي وما يعتمد عليه في صياغة الأفكار والرؤى لوجود خلايا استخباراتيّة متخصّصة في دراسة و تتبّع الحركة الجهاديّة، وهو ما يفسر قدرتهم على الاختراق وبثّ عناصر ذات كفاءة عالية، لهم القدرة على التعايش مع الحركة وكأنّهم من أفرادها، وبهذا التطابق يتمّ نشر الفتن والفساد، وهذه الاختراقات تكون بصور متعدّدة فيحتمل أن يكونوا كتّابا وناشطين عبر شبكات التواصل أو عملاء حقيقيين على الأرض داخل التجمعات الجهادية نفسها.

شكلا لم يتصوّر أبعاده أحدٌ عبر التاريخ الإسلامي جميعه، والذي زاد من تعقيد المشهد أيضا هو التسارع الكبير في قدرة الفكرة المستوحاة من النصوص الشرعيّة على الانتشار؛ ممّا زاد من تصادم الأفكار بعيدة المنشأ في مواقع ضيّقة وهي بؤر الصراع المحتدمة. صراع الأفكار "إسلاميّة المنشأ" هذا زاد حدّة عندما غاب التمشّي السليم في طرح المعايير المنهجيّة الثابتة لتكون معيارا لوزن هذه الأفكار.

الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أنّ الفكر الجهادي في مراحله الأولى هو نتاج سياسي خضع في كثير من مراحله لإيجاد المصلحة السياسيّة لاقترابه من الدوائر السياسيّة،[1] والتي عملت على احتوائه وترويضه بالطريقة التي يمكن استغلاله بها. هذه الحقيقة هي ما أدركته جماعات الجهاد وأيقنت أنّ المسار الجهادي على هذا المنوال حتما سيزيد من انفراج الزاوية لتبتعد به هذه السياسات عن غاياته ومصدر توجيهه الأوحد وهو التشريع الإسلامي. وعلى هذا كانت نظرة هذه الجماعات في ممارساتها للسياسة الشرعيّة ترتكز أكثر على النموذج الأكثر تصلّبا في مسألة الالتزام بدلالات النصوص ومقاصد الشريعة بما أملته الشريعة نفسها، وضيق المقام يحول دون التوسّع في هذه النقطة أكثر.

هذا التوجّه جعل هذا التيار يزيد من التمايز في أطروحاته وأدبيّاته حتى بات يعرف بالتيار «**السلفي الجهادي**» وكلمة "السلفي" تعني «**البعد الفكري العميق**» والعمق هنا يعني الرجوع إلى فهم السلف لمدلولات النصوص الشرعية وما نشأ عنه من علوم شرعيّة، وكلمة "الجهادي" تعني «**الإطار العملي المميّز**» وهو ممارسة الجهاد كخيار أساسي في سبيل تحقيق مقاصد الشريعة، هذه الأبعاد الجديدة هي التي شكّلت أهمّ أركان هذا التيار «**السلفي الجهادي**».

التيار السلفي الجهادي وممارسته للتقويم:

"الفكر المتشدّد"،"الفكر الراديكالي"،"الفكر المتطرّف"، هذه المصطلحات هي بيانات بطاقة الهوية الشخصية للتيار «**السلفي الجهادي**» التي وضعتها الأطراف المناوئة له، وقد تُجمع أحيانا في عنوان عريض وهو «**الفكر الأصولي**»، والأصوليّة هنا يقصد بها الرجوع إلى "**الأصل أو المنبع**"، المهمّ في هذه القضيّة

[1] – هذه المرحلة المتقدّمة في المسار الجهادي شابتها بعض النزعات والعصبيّات القوميّة والوطنيّة وهذا عندما حاولت الأنظمة العربية وقتها (أي بعد الحرب العالمية الثانية) خلق جبهة موحدة ضد اليهود وهو ما أدّى إلى إثارة النّزعة القوميّة والوطنيّة كوسيلة للحشد ضدّ هذا العدوّ، وهو طبعا ما استهجنته الطوائف الجهاديّة بعد فترة من الزمن عندما انفضح حال هذه الأنظمة ومدى تورّطها وتخاذلها في نصرة القضيّة الفلسطينيّة فكانت هذه بداية المفاصلة بين التيار الجهادي وهذه الدوائر السياسيّة العميلة.

هو معرفة الوعاء الجامع لمفردات هذا الفكر.

وبعد طرح «**السلفيّة**» كوعاء جامع لهذا الفكر لوحظ أنّ هذا الشعار لم يستقم لوجود تباين وحساسيّات داخليّة عميقة بين أصحاب هذا التيّار الواسع، فلهذا طُرح الشطر الثاني ليكون فيصلا بين هذه الأطراف وهو «**الجهاديّة**».

الأشياء بأضدادها تتمايز، هذا الانقسام الذي حصل داخل المدرسة السلفيّة باعتبارها خلفيّة مشتركة فتح باب التقويم والنقد على مصراعيه ليأخذ كل طرف زمام المبادرة تجاه الآخر، هذا المشهد الذي كان يظهر وكأنّه "حرب داخليّة" بين إخوة البيت الواحد أعطى آثارا إيجابيّة في صالح التيّار الجهادي لم يلحظها إلاّ القليل، وتلك الآثار هي التي خلّفتها عمليّة النقد المتبادل، وهذا طبعا حصل قبل أن تتحوّل هذه العمليّة إلى معول هدم يراد بها إسقاط التيّار الجهادي باعتباره تيّاراً له قابليّة التطوّر للتطبيق الفعلي لأطروحاته.[1]

قلنا أنّ عمليّة النقد المتبادل في طورها الأوّل كان لها الأثر الإيجابي على مسار الحركة الجهاديّة بسبب تقييمها لسلوكها الخاص على ضوء ما تتلقاه من مكاشفات صريحة ودقيقة من طرف من لهم القدرة على التوصيف المنهجي باعتبارهم يقفون على قاعدة مشتركة وهي مصادر التلقّي، هذه الصورة شكّلت أهم ممارسات التيار الجهادي لعملية التقويم على ضوء النقد غير المباشر أو النقد المباشر، والذي هو عملية داخلية، وهو ما سنتطرق إليه في هذا الجزء من المبحث.

التقويم والنقد من داخل التيار السلفي الجهادي:

أشرنا إلى أن النقد غير المباشر أعطى التيارَ الجهادي الفرصة للتمايز والتجمع حول نفسه ليعرض نفسه في الأخير على أنه مدرسة ذات معالم مختلفة، لها القدرة على العمل المستقل اعتمادا على ما استطاعت أن تشكله من فكر متمازج بين الأصولية المرجعية وبين أساليب وفنون المدافعة المعاصرة، هذه النتيجة الأخيرة التي استقر عليها التيار لم تسلم من حملات النقد والتقويم، ولكن وللأسف كانت غالبها

[1] ــ بعد مراحل من الصراع قضتها الحركة الجهادية في معزل عن الصدام مع الأنظمة الطاغوتيّة المرتدّة لعدم وضوح معالم التّظاهر الغربي مع هذه الأنظمة، وبعد إدراك الحركة الجهادية لهذه الحقيقة أصبحت هذه الأنظمة هدفاً ضمن المشروع الجهادي العالمي. وبهذا التطور في النظرة الجهادية وقع أن استعانت هذه الدول الطاغوتية بمن لهم اشتراك مع الحركة الجهادية في أبواب كثيرة من المنهج العقدي، فحاربوها بأدوات عقدية ومنهجية لها تداول في التيّار، وهو ما أثار الكثير من المسائل الشرعية لتدرس دراسة واقعية تبتعد عن حالتها الأثرية كما هي في كتب أهل العلم.

من الخارج، أما ما كان يصدر من الداخل في هذا المجال فلا يكاد يعتد به إذا قورن بحجم التجارب الضخمة التي خاضها هذا التيار في حروبه الفكرية والعسكرية ضد أقوى وأشرس القوى العالمية المتظاهرة على حربه واستئصاله[1]، هذه الحرب المفتوحة على جبهات مختلفة والتي مورست بلا هوادة أضعفت من قدرته على الالتفات لمراجعة سياساته، هذا السبب يظهر على أنه أكبر عائق فُرض من الخارج ولكن الحقيقة أن الأسباب الكامنة في الداخل هي أكبر وأكثر تأثيرا، وهي من حالت، بنسبة أكبر، دون ممارسة المراجعات التقويمية المهمة في ترشيد المسار العام، هذه المسألة هي ما سنحاول تناولها منقّبين عن أبرز خفاياها مستعرضين لأهم إشكالاتها وهي موضوع المبحث الثاني.

وفي نهاية هذا المبحث وقبل مغادرته يحسن التركيز على بعض النقاط لاستخلاص الفوائد التالية:

كنا قد أشرنا إلى أن التقويم ضروري ومهم لأي عمل حركي، وهذا بغية ترشيد المسار والخطوات المستقبلية، وفي معرض حديثنا عن الحركة الجهادية قلنا أن الحركة الجهادية في خلال مسارها الطويل قد حصلت على نوعين من التقويم، هما:

أوّلا: التقويم من الخارج:

وهو ما كان يحصل على ضوء ما يصدر من مكاشفات من الأطياف الإسلامية المختلفة التي لم تتبن المسار الجهادي.. والتي بسبب اشتراكها مع الحركة الجهادية في مصادر التلقي كانت مكاشفاتها المنهجية تجاه التيار الجهادي سببا في تركيزه أكثر على المراجعة والنظر لمستنداته الشرعية مما جعل هذا الأمر محفزا جيدا وقويا لتمسكه بالأحكام الشرعية، وهو ما ساعد كذلك على كشف المناهج الباطلة وتجنبها.

هذا الأمر يجعلنا نسجل ملاحظة مهمة وهي: أنه من المهم عدم إهمال الرؤى الإسلامية الأخرى مادامت تستند إلى حقائق شرعية لتدارك النقص العارض على الحركة الجهادية.

---

[1] ــــ يُعدُّ الشيخ أبو مصعب السوري أحد القلائل الذين كانت لهم مجهودات في وضع دراسات خاصة بالواقع الجهادي حتى بات يعرف بمنظر الحركة الجهادية ولعل من أهم ما أنجزه ــــ في هذا الباب ــــ هو كتابه "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية" وهو إنجاز يعد كنزا ثمينا في مجاله نسأل الله أن يتقبل منه وأن يفك أسره.

ثانيا: التقويم الداخلي:

هذا النوع من التقويم كما قلنا أنه لم يحظ بتفعيل مناسب تماشيا مع حجم التجارب التي خاضتها الحركة الجهادية، وهذا يعزى لشيئين مهمين، هما:

* الأمر الأول: هو التسارع الكبير في مجريات الصراع المحتدم، والذي كان يفرض أجواء مختلفة في كل مرة، مما أدى إلى الذهول أولا عن التجارب الماضية والاستتغراق في الحاضر الراهن، وثانيا إلى عدم استيعاب الترابط الوثيق بين مجريات الحروب المتعاقبة، وما خلفته من حقائق وثوابت متشابهة، ولّد الوهم في عدم ضرورة النظر في الأحداث السابقة. وهي نقطة مهمة يجب تداركها لأن الحركة الجهادية كانت تقع وفي كثير من الأحيان في نفس العثرات والأخطاء جرّاء عدم توريثها للمحصلات العامة بعفوية ولو على حساب رموزها ومكتسباتها.

* الأمر الثاني: والذي كان سببا في ضعف التقويم الداخلي، هو تشكل قيم فكرية داخل الفكر الجهادي نفسه، وهو ما كان عائقا دون ممارسة أهم أسس التقويم الداخلي، ألا وهو "النّقد البناء" ولأهمية هذا الموضوع سنقوم ببحثه ومعالجته على حدة، وهو موضوع المبحث الثاني بإذن الله.

* * *

المبحث الثاني: الفكر الجهادي بين القداسة والريادة

التقويمُ باعتباره جهداً فكريّاً، يتأثر أكثر بما تخلفه الحركة الإنسانية من قيم فكرية، وهذه القيم الفكرية تطغى في كثير من الأحيان على أصحابها فلا يستطيعوا النظر والتفكير إلا من منطقها ولا الحكم والقياس إلا عبر معاييرها وموازينها، وهذه الحالة من الانغلاق على الذات ستؤدي حتما إلا فشو منطق الحفاظ على المكتسب الذاتي باعتباره رأس المكاسب وأساسها الذي لا يمكن التفكير في معالجته والمهم هو البناء على أساسه والشموخ به إلى فوق ولا يهم أن يظهر الاعوجاج على الحقيقة إذا كانت النظرية مستقيمة في الذهن.

من القيم الفكرية الخطيرة والتي تكون سببا في قلب مقاصد عملية التقويم هي فكرة القداسة، وهو المرض العضال الذي إذا تمكن من الجسد أهوى به إلى مهاوي الردى و الموت، هذا المرض أول ما يصيب ويؤثر في قدرة المرء على رؤية عيوبه، فهو يعيش الوهم المستمر والمموه بالمصالح المزعومة فالخير كل الخير ما فكر فيه وعمل لتحقيقه والشر كل الشر هو ما خالف منهجه وتفكيره، وهذا المرض ساق أصحابه منطقيا إلى عصبية رعناء لا أساس لها من الحقيقة وهي أحقية الريادة بدون اعتبار لمقوماتها وشروطها القدرية قبل الشرعية، هذان الإشكالان (**القداسة والريادة**) من أهم ما أضعف من فعالية التقويم، كما أنّ غياب مفهومهما هو نفسه أضعف من طرح النظرية الصّلبة المعتمد عليها كمصدر إلهام صحيح غير قابل للتغير.

هذان هما محورا المبحث الثاني بإذن الله وسنبدأ أولا بموضوع القداسة تمهيدا للموضوع الثاني وهو الريادة وحقيقتها وبأي شيء تستحق وتنال.

المحور الأوّل: القداسة في ميزان الحق:

تقال الحكم للاعتبار "**لولا صبر المضمرات على قلة العلف ما قيل لها سوابق**" كذلك المجاهد "**لولا صبر المجاهد على لأواء الجهاد ما قيل له مجاهد**".

القداسة: لغة هي الطهارة والتّقدس هو التّطهر وتقدّس يعني تطهّر، جرت سنة الله عز وجل أن يقع الخطأ من الإنسان حتى وهو متلبس بعمله المكلف به شرعا ورغم قداسة النصوص الشرعية المتزهة عن النقص والعبث إلا أنها لم تشفع لبني البشر من الوقوع في الزيغ والزلل، فلهذا كانت قداسة العاملين بمقتضى هذه النصوص تزيد وتنقص بقدر مرتبتهم في الامتثال والالتزام ولهذا لم يقع الخير المطلق لأحد من الخلق إلا ما وقع للأنبياء والرسل وكذلك لم يتصور الشر المطلق في أحد من الأمة إذا جاء بعقد الالتزام الأعظم وهو التوحيد.

جاءت «**قداسة الجهاد**» في سبيل الله من جهات عدة أولا من كونه تكليفا ربانيا منصوصا عليه في الشريعة الإسلامية كغيره من التكاليف العظيمة الأخرى، وجاءت قداسته ثانيا من كونه عبادة ربانية لها أثار روحية على نفس المؤمن لا يمكن وقوعها من جميع التكاليف الأخرى ولو تم جمعها على صعيد واحد وهي حكمة الله التي أودعها في هذه العبادة لتقع في المرتبة الثانية بعد الإيمان بالله واليوم الآخر قال الله عز وجل: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [التوبة: 19]، وأعظم هذه الآثار الروحية هي ما يقع في نفس المؤمن المجاهد من التجرد العظيم من عوائد الدنيا وملذاتها حتى تتطهر نفسه من كل العلائق ليتعلق بعطاء الله وحده، هذه هي الحالة الوحيدة التي يمكن فيها اجتماع الامتثال الكامل مع التجرد التام لتكون هذه هي أسمى مراتب العبودية لله عز وجل، ولعل من أحسن ما قيل في هذا الموضوع هو ما جاد به سيد قطب رحمه الله وهو من النفائس بديعة الجمال والذي جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: 155-157] قال: {و بعد.. فلا بد من وقفة أمام هذه الخاتمة في تلك

التعبئة للصف الإسلامي، التعبئة في مواجهة المشقة والجهد، والاستشهاد والقتل، والجوع والخوف، ونقص الأموال والأنفس والثمرات، التعبئة في هذه المعركة الطويلة الشاقة العظيمة التكاليف.

إن الله يضع هذا كله في كفة ويضع في الكفة الأخرى أمرا واحدا.. ﴿**صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾.. إنه لا يعدهم هنا نصرا، ولا يعدهم هنا تمكينا، ولا يعدهم هنا مغانم، ولا يعدهم هنا شيئا إلا صلوات الله ورحمته وشهادته.. وإن الله يعدّ هذه الجماعة لأمر أكبر من ذواتها وأكبر من حياتها، فكان من ثم يجردها من كل رغبة من الرغبات البشرية حتى الرغبة في انتصار العقيدة، كان يجردها من كل شائبة تشوب التجرد المطلق له ولطاعته ولدعوته.. كان عليهم أن يمضوا في طريقهم لا يتطلعون إلى شيء إلا رضا الله وصلواته ورحمته وشهادته لهم بأنهم مهتدون.. هذا هو الهدف وهذه هي الغاية وهذه هي الثمرة الحلوة التي تهفو إليها قلوبهم وحدها.. فأما ما يكتبه الله لهم بعد ذلك من النصر والتمكين فليس لهم، إنما هو لدعوة الله التي يحملونها.} إهـــ من [ظلال القرآن].

ومن هنا جاءت القدسية لأصحاب هذه المرتبة تعظم بعظم امتثالهم وتجردهم في سبيل تحقيق مقاصد الشريعة ولا قداسة لأحد من البشر إلا من قدسه الشرع الحنيف.

عظمة الجهاد وبركاته لم تقتصر على أصحابه فقط، بل تعدت بركاته للخلق أجمعين ولهذا كانت عظمة الجهاد بتعدي منفعته، فبه يُبَلَّغُ الدّين وبه يصان وبه تُحَكَّمُ الشرائع وبه يقع العدل وبه تتمايز الصفوف وبه ترتقي الأمة لمرتبة الريادة العالمية..

وعلى هذا الاعتبار لمفهوم القداسة التي شملت العبادة والمتعبِّد بها والغايات المتحققة منها كان وقوع الكثير من المنتسبين للتيار الجهادي في فكرة القداسة، والتي أثرت سلبا على طريقة التعامل مع آراء المخالفين. هذه القداسة أُخذت على إطلاقها من أطراف أخرى لدرجة تم فيها استغلال شعارات الجهاد مطية لصناعة الطهرية التي يطمحون من ورائها إلى إثبات الغريب والدخيل من الأفكار وإلباسها ثوب القداسة، والتي لا يمكن في حال من الأحوال نقدها أو إخضاعها لعملية النظر. ومع غياب المراجعات السّابقة التي تطرح وتنبذ الدخيل تم إدراج السقيم من الفكر في مجموع الإرث المقدس، ليتفاعل هذا الأخير داخل المدرسة الجهادية بأبعادها الفكرية والعملية مفرزا هذه العاهات والنماذج المتطرفة لتتحول في النهاية داءً عضالا يفتك بالجسد كله، ولا حيلة للعاجز وقتها لبتره لأنه سرى في القواعد والحواضن ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السؤال الذي يجب أن يطرحه الجميع على أنفسهم وحالة الجهاد اليوم كما ذكرنا تتجاذبها دعوى

القداسة تارة ودعاوى الريادة تارة أخرى: **ما الذي حدث حتى تشكلت القداسة فجأة وكيف خرج أصحاب الريادة عنوة؟؟**

للأسف الشديد، ما وقع هو محصلة لغياب عملية التقويم التي تأخذ في حسابها النظر في مفردات هذا الإرث الضخم، والذي علقت به بذور الشر لتنبت على حين غرة من الشرفاء الذين كانت مساعيهم الطيبة تضع قواعد البناء الصحيح والصلب. ولكن هذه المساعي لم ترقى – على عظم قدر أصحابها – إلى الحد الذي يمكنّها من وضع نهايات أو حدود للمسائل العالقة، فكانت المسألة الشرعية – رغم تداولها وتكرار بروزها – لا يُنتهى بها إلى بر الأمان الذي يحفظ جنابها من عبث العابثين، وامتطاء الفاجرين لها عدوانا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا للجاهلين والمتنطعين[1].

هذا الذي عرضناه هو صورة من صور وآثار غياب عملية التقويم التي تأخذ في حسبانها نبذ الدخيل من الأفكار ووضع نهايات للمسائل العالقة للحيلولة دون استغلالها من طرف المخالفين. أما الشيء الآخر، وهو ذو أهمّية بالغة في عملية التقويم، ويعد أحد أركانها، فهو **النقد البناء** الذي يجدر "**بالجماعة المجاهدة**

---

[1] ـــ مما يجدر ذكره أن الحركة الجهادية وعلى صلابة تمسكها بالتراث العلمي الإسلامي إلا أنها لم تستطع توحيـــد رؤيتهـــا الحركية في ظل ما تمليه الثوابت العلمية و هذا يتجلى بوضوح في مسائل عدة من أهمها:

* مسألة الحكم على الطائفة وأعيانها وما هي مناطات الحكم فيها.

* مسألة العذر بالجهل وما يتفرّعُ عنها من مسائل.

* مسألة تنوع الاختيارات في السياسية الشرعية وحقيقة مراتبها كتحييد الخصوم والاستعانة بالكافر وغير الكافر و غيرها ممـــا أصبح واقعا لا مفرّ منه.

هذه المسائل التي هي أساس الكثير من الاختيارات الحركية استغلت لما لم يكن لها تأصيلات محكمة فأصبحت في وقت الفتن مطية لأصحاب الشّبه.

وكثير من هذه المسائل يصعب على الحركة الجهاديّة بل وغيرها من الحركات والجماعات تحقيقها فتحتّم السعي في ترسيخ عدّة أمور في أوساطها:

أولاها: استفراغ الوسع في معرفة الأصلح والأرجح في الواقعة المعينة بالنّظر الى الحكم الشرعي متزّلا على الواقع وما يحفّه

ثانيها: اعذار من خالف فيما تسع المخالفة فيه من الأحكام والترجيحات وحفظ حقه في الخلاف والحوار.

ثالثها: بعد اتخاذ القرار في المسألة المعينة، يبقى توحيد الموقف العملي على كل من يعنيه والتزام الجميع به ما دام من مسائل الاجتهاد والنظر.

رابعها: نشر فقه الخلاف وآدابه ومراتبه بين جنودها وتربيتهم على ذلك.

والله تعالى أعلم

والصالحين فيها فقهه جيدا حتى لا تكون جنايتها على الجهاد تساوي جناية المقدسة للعبث والشر..!"

كتب الله ألا يكون الكمال إلا لنفسه وشريعته، وكتب كذلك العصمة لأنبيائه ورسله ليكونوا القدوة والنموذج الأمثل لخير العمل وجعل أتباعهم من خير البشر ليستحقوا بتلك الخيرية ريادة البشرية وأجرى موازين شرائعه لتتناسب وموازين خلقه حتى لا يكون عنتٌ ولا حرج، قال الله عز و جل: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج من الآية: 78]. جاء الإسلام كدين قويم يقوّم أتباعه على السبيل المستقيم فدلهم على سبل الفلاح ليعتصموا ودلهم على سبل الهلاك ليزدجروا وجعل النهي عن المنكر والأمر بالمعروف رتاج الفلاح وبابه، فلهذا كان دأبُ الصالحين التعبد بهذين الأمرين، فعلّموا الجاهل ونبهوا الغافل، وقوّموا المخطئ فلا مناص إذا لمن علا ذروة سنام الإسلام إلاّ أن يقتدي بالصالحين مادام يحمل لواءهم ويسير في ركبهم قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج: 41].

- **النقد الذاتي سبيل البناء الصحيح:**

كنا قد نبهنا أن المؤمن قد يعتريه الخطأ حتى وهو متلبس بالعبادة، وكذلك الحالُ مع ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله تعتري العاملين فيه الأخطاءُ والعثرات. ومع هذا لا يعني ورود الخطأ من المجاهد تبريره بحجة كونه بشرا خطّاءً، أو كونه في مقام لا يُنتقد لعظم شأنه، أو لا يقيّم لأنه لا حاجة لتقييمه، أو لا يقوّم لأنه مسدد و مبارك[1]. كلّ هذه العلل باطلة شرعا وعقلا، وسمة النقد الذاتي هي سمة

---

[1] ـــ من الغرائب أن يتصور المجاهد أن له تصريحاً ربانيّا بفعل أي شيء بحجة أنه في موطن تسديد وهذا الـــزعم للأســـف يستدل له بأية من القرآن وهي قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبـــوت: 69] وحقيقة هذه الآية ترد هذا الزعم لأن الجهاد (في سبيل الله) لا يجتمع مع الجهاد (في سبيل الهوى) و أي هوى أكبر من أن يعتقد المرء أنه مخول له فعل أي شيء؟ و أي سبل الله هي التي تتحمل هوى المخلوقين؟ ورد في تفسير ابن كثير في معنى هذه الآية قال: (الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون قال أحمد بن أبي الحوارى فحدثت به أبا سليمان يعني الـــداراني فأعجبه وقال ليس ينبغي لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر فإذا سمعه في الأثر عمل به وحمد الله حتى وافق ما في نفسه.

الصادقين الذين استطاعوا كسر كبريائهم ليزنوا أنفسهم بميزان الحق، وكلما تمكن المجاهد من إخضاع سلوكه لميزان الحق كلما كانت معية الله بجانبه تسير مساره إلى غاية تمكينه من مراده، ولكن النّقد الذاتي الذي يطرح مكامن الخلل إذا مورس بغير تقوى الله وبغير حكمة أو بغير علم تحول إلى أداة هدم لا تقلّ خطرا من ترك المسيرة بلا تقويم ولا نقد ذاتي! ولعل هذا المحذور من أسباب ضعف النقد داخل المدرسة الجهادية لتوجس العاملين لانقلاب هذا الأمر إلى حده السيئ.❷

وعلى هذا الأساس سنحاول البحث عن معالم هذه المسألة آملين أن نوفق في وضع حدود لها مسترشدين – بعون الله – بسنة المصطفى ﷺ وسيرته وقبل أن نبدأ لا بد أن ننبّه إلى شيء مهم وهو ما يتعلق بمفهوم النّقد إذ قد يتبادر إلى ذهن القارئ –كما هو شائع– أن مفهوم النقد يعني ممارسته وممارسة التجريح والاستنقاص وإظهار العيوب! هذه المعاني قد تكون واردة في هذا اللفظ ولكن الأصل فيه أنه لفظ ذو مدلول دقيق وهو إعمال النظر في الأشياء والأمور الخفية دون الظاهرة ووزنها على ميزان الحق والنظر في جوهر الأشياء دون عوارضها وإعطائها الوصف الحقيقي والدقيق❶ ولا شك أن الهدي النبوي هو أعظم ما مورس في هذا الجانب، فكان رسول الله ﷺ بأبي هو و أمي أعلم الناس بخفايا الأمور، فكان توصيفه دائما يقع على الوجه الذي يشمل الوصف الدقيق مع مراعاة انعكاسات هذا الوصف على الموصوف وما يترتب عنه كذلك من مفاهيم خاطئة قد تتبادر إلى الذهن فيقوم بقطع السبيل إلى ذلك بأسلوب بديع وهذا هو هديه ﷺ في تربية أمته على السبل الحكيمة لتوصيف الخطأ وتصحيحه وهو الأمر الذي يجب على أهل الإصلاح والدعوة العمل به حتى تكون نتائجه وآثاره على الوجه الذي يرضي الله ورسوله ﷺ.

إذا أرادت الجماعة المجاهدة أن تقوّم مسارها بالطريقة التي تكفل سيرورته على هدي القران والسنة حتى لا يكون هذا المسار ❷وجب عليها توصيف الأمور بأوصافها الشرعية وإعطاءها مرتبتها الحقيقية

---

❷ ــ الحد السيئ للنقد هو غياب الآداب والقواعد الصحيحة له، فبغيابها يصبح تشغيبا وإضرارا وإن ظن فاعله أنه يحسن صنعا.

❶ ــ من السلبيات التي تتخلل النقد هي الاستعارات غير المضبوطة للمصطلحات والتي لا تتوافق مدلولاتها وحقيقة الإشكال فيتم التلبيس والتحريف في الوقت الذي يتوهم فيه علاج المسائل علاجا شرعيا وهذا الوهم هو من جرّأ أصحاب الشبه على الاستدلال بأقوال علماء فضلاء كانت مقاصدهم غير الذي ذهب إليه هؤلاء.

❷ ــ كان التأخر في الحكم على بدعة الخوارج وإعطائها الوصف الدقيق والصحيح من الأسباب التي أزّمت الوضع داخل الساحة الشامية ولعله ومما سيكتبه التاريخ من مناقب الشيخ أبي قتادة حفظه الله أنه من الأوائل الذين صدعوا بالحق في وجه

المبارك خليطا بين الصواب والخطأ، فيلتبس الخطأ أحيانا بالصواب أو يلتبس الصواب بالخطأ فيقع اللبس والتحريف ولا فائدة في التغاضي من أجل المصلحة إذا كان الخطأ سيرسخ في أذهان الناس على أنه صواب. هدي المصطفى ﷺ في إلحاق الأمر بأصله واضح وجلي في تعامله مع هذه المسألة، وما كان ليحول بينه وبين هذا الأمر شيء، حتى ولو كان أعز شيء عنده، ألا وهم أصحابه رضي الله عنهم، الذين ناصروه وقت العسرة فكانت تربيته لهم تربية الأب المشفق مع أبنائه كما وصفه الله عز وجل قائلا: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: 128].

سنذكر حالات مختلفة تعامل معها رسول الله ﷺ بطرق مختلفة لنستلهم منها الدروس والعبر في طريقة التعامل مع الخطأ، وهذه الحالات يظهر فيها الأسلوب الراشد الذي يفرق بين علاج الخطأ الصادر من الواحد المنفرد والخطأ الصادر من الواحد الذي يتعدى ضرره ليصيب الجماعة، وكذلك الخطأ الذي يلتبس مع الصواب فيتم علاجه بدون المساس بأصل الغاية وتتريهها عن أخطاء الأتباع، هذه جميعها مراتب ومقامات لأخطاء متنوعة في مسار الحركة الجهادية النبوية عالجها المبعوث رحمة للعالمين بالسّبل التي تتناسب وحجمها وحجم تبعاتها على الغايات السامية.

كانت الأحكام الشرعية تنزل منجمة تتخلل حياة الجيل الأول وهو جيل النّبوّة لتكون هذه المرحلة النموذج الأمثل عن تمازج الجانب الشرعي وهي (الأحكام الشرعية) مع الجانب القدري والسّنّي وهو ما يعتري هذا البشر من أحوال جبلِيّة وأخرى تتجاذبه فيها النفس والأهواء ليتشكل في الأخير الجيل الأمثل الذي استطاعت الشريعة أن تسمو به إلى المراتب الرفيعة رغم إنسانيته التي هي مادته الأصلية، هذه الفترة التي تكوّن فيها هذا الجيل هي مصدر الإلهام الأول في سبل إصلاح الجماعات والأفراد فمنها يعتمد بالأساس سبل المعالجة والإصلاح.

والواجب على الجماعة المجاهدة اليوم هو تقفي آثار الجماعة المجاهدة الأولى في سبيل إصلاح أحوالها ودفع أوهام القداسة الذاتية من أذهان أتباعها والحرص أكثر على وضع معايير الجماعة الأولى، معايير لوزن وقياس ممارساتها لتكون القداسة في الاِتّباعِ وليس في الابتداع.

بدعة الخوارج عند ظهور بوادرها في الشام جزاه الله خيرا.

- **قداسة الأتباع في ميزان الحق «إنك امرؤ فيك جاهلية»:**

عن المعرور بن سويد قال: «**لَقيتُ أَبَا ذَرٍّ بالرَّبَذَة، وَعَلَيْه حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلامه حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُه عَنْ ذَلك، فَقَالَ: إنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بأُمِّه، فَقَالَ لي النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بأُمِّه؟ إنَّكَ امْرُؤٌ فيكَ جَاهليَّةٌ، إخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْديكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَده، فَلْيُطْعمْهُ ممَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ ممَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلبُهُمْ، فَإنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعينُوهُمْ»**❶ [رواه البخاري في كتاب الإيمان و كتاب الأدب]

نسف الأشخاص والجماعات بالكلية وبدون اعتبار لإنجازاتهم العظيمة بحجة وقوعهم في الخطأ هي من سِيَم أهل الشر، الفجور في الخصومة وكفران العشير هي أهم وسائلهم في التعبير عن حقدهم الدفين على أهل الخير❶.

هدي المصطفى ﷺ في علاجه لهذه المسألة هو إعطاء الخطأ مرتبته الحقيقية بدون شطط ولا فجور ولا هدم ولا نسف يذهب بجميع الخير الصادر من أصحاب الخطأ.

قول النبي ﷺ للصحابي الجليل أبي ذر رضي الله عنه «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**» معناه أنك امرؤ فيك خصلة من خصال الجاهلية، والمعنى الذي جاء في هذه العبارة يدل على أمر مهم هو أن النبي ثبّت الكل و لم يهدمه وبيّن الخطأ و لم يتجاوزه❷ حتى وهو يصدر من خيرة أصحابه، والشيء العظيم في هذا كله هو التوجيه الذي صدر بعد هذا الوصف وهو التوجيه الذي حض فيه على فعل الخير المعاكس لذلك الخطأ وهو ما يبين ضرورة استثمار الخير الكامن والمتأصل في أصحاب الخطأ وهو فعلا ما فعله الصحابي الجليل أبو ذر رضي الله عنه.

الحكمة المستفادة من هذه القصة هي أن النبي ﷺ كان وعلى عظم وخطر الظروف التي كانت تمر بها الجماعة المسلمة، مع قلة المناصر والرفيق، كان لا يتجاوز الخطأ الصادر من الأتباع، في سياسة راشدة

---

❶ ــ من النكت العلمية المفيدة هو إيراد الإمام البخاري هذا الحديث في كتاب الإيمان تحت باب "المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك" وهو ما يتطابق مع ما سنبينه أن المعاصي وإن حدثت من المجاهد فهي ليست ذريعة لنسفه كما هو منهج أهل الغلو.

❶ ــ أهم سبل أهل الغلو في إسقاط خصومهم هو جعل ما يعتقدون أنه من التجاوزات المنهجية مباشرة بمنزلة المكفرات القطعية حتى يتسنى لهم إسقاط الخصم بخطأ شرعي.

❷ ــ أورد أهل العلم قاعدة مهمة في مسألة النهي عن المنكر فقالوا أن المنكر لا يتصور إنكاره إذا كان هذا الإنكار سيؤدي إلى تعاظم ذلك المنكر وبهذا يتضح أن مسألة النهي عن المنكر تحتاج إلى حكمة في ممارسته وتصور صحيح لعواقبه.

عنوانها الأعظم «**الأتباع للرسالة**» وليس «**الرسالة للأتباع**» فكان يربي أصحابه على الخضوع والامتثال كي ترسخ هذه المفاهيم في نفوسهم ليكونوا خير حامل للرسالة بعده، فلو أنه تغاضى عن الأخطاء بدعوى تأليف قلوب الأتباع لضاعت الأمانة من بعده لأن الذين رباهم كانوا لا يعرفون قيمة الأمانة.

المستفاد من هذه الحادثة كذلك هو أن النقد لا يجب أن يتجاوز حدوده، ويجب كذلك على الناقد أن يعلم قدر الآخرين والخير المتأصل فيهم ويجب أن يكون على دراية بالصواب ليوجه إليه المخطئ، وهناك أمر مهم يجب أن نتعلمه من هذه القصة، وهو حسن الظن بمن يتوسم فيهم الخير حتى وهم متلبسون بالخطأ لأنه ليس الأصل فيهم، ومواصلة العمل المشترك معهم وهدم حواجز العثرات، وهذا من صميم هدي المصطفى ﷺ، ومجد الإسلام ما كان ليصل إلى ما وصل إليه لو أن حركته في البناء توقفت عند كبوات أتباعه وهفوات أجناده.

المستفاد من هذه القصة أيضا، أنه لا يجب أن يتصدر لنصح أهل الفضل إلا أصحاب الفضل وهو من الأدب الذي دأب عليه أئمة الخير والصالحين ولا يجوز بأي حال من الأحوال تجرئة الغوغاء على أهل الفضل بحجة بذل النصيحة لهم، وكم عانت الحركة الجهادية من هذه الممارسات حتى أصبحت مرتعا للساقطين ينهشون بها حرمات الأخيار من السابقين والأئمة العدول[1].

- **قداسة الشعار في ميزان الحق «ما بال دعوى الجاهلية»:**

عن جابر بن عبد الله قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصار: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: «**ما بال دعوى الجاهلية**»، قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: «**دعوها، فإنها منتنة**».

---

[1] ــ هنا يجب لنا من وقفة مهمة وهي ظاهرة يندى لها الجبين شاعت وتشيع بين الصفوف المجاهدة، وهـي الخـوض في المسائل واختلافات العلماء فيها بدون علم وبدون ضوابط وهذه الظاهرة ساهم في فشوها سببان اثنان:

السبب الأول: هو انتشار المواد العلمية الجهادية التي تتزاحم على شبكة الانترنت وما فيها من ردود ومهاترات وتجاوزات بين الصف المجاهد الذي هو مشغول بالأساس بمقارعة العدو بدون حسيب ولا رقيب وهذا الأمر يعد من أخطر العوامل الهادمة في وحدة الصف.

السبب الثاني: هو غياب التربية الأخلاقية الجهادية لدى الكثير من الشباب المجاهد، وهي القيد الأساسي في سلوكه تجاه مـن يخالفه أو يخالف أدبيات جماعته، ولهذا ننصح بتقييد المواد العلمية داخل الصف المجاهد وإخضاع الشباب والناشئة لـدورات تربوية تنمي من وعيهم وتضبط سلوكهم.

[رواه مسلم]

حركة الأمم لصناعة المجد هي حركة إنسانية لا تخلو من العثرات والهفوات التي تصدر من الأفراد، **والأمر الذي يشيح عليها وشاح المثالية والطهر هو سمو أهدافها وغاياتها وأي تصور رهباني لهذه الحركة بدون اعتبار لأبعادها الإنسانية فهو تصور خاطئ قد يؤدي بصاحبه إلى الزهد في هذه الطريق وإسقاطه بالكلية وهو المهرب الوحيد لهذه الانتكاسة.**

هذا الحديث الذي أوردناه هو نموذج رائع عن حقيقة إنسانية الحركة الجهادية وهي صورة واضحة وضوح الشمس عن جزئيات غائبة عن أذهان من حرم الجهاد لعذر أصابه أو ترفع أعاقه[1].

خير من تعبد الله بالقران والسنة النبوية يخطئون وهم في خضم أعظم عبادة فرضت بعد التوحيد وهي الجهاد في سبيل الله، هذا الإطار هو الإطار الجامع للمعايير الحقيقية لوزن أي حركة جهادية وأي معايير أخرى جانبت استيعاب الجانب الإنساني في الحركة الجهادية هي معايير قاصرة لا تمت للعلاج بصلة.

القصة التي بين أيدينا هي صورة واضحة لشكل من أشكال الخطأ الذي يقترف في خضم حركة الحق لدفع الباطل، بين أيدينا الآن مشهد من مشاهد الغزو النبوي الذي تسير فيه الجحافل المجاهدة إلى ميدان المعركة تحت قيادة النبي ﷺ. جندي من جنود الرحمان يخطئ فيعتدي على أخيه المجاهد، لا شك أن هذا الخطأ الذي اُرتكب في جيش النبي ﷺ هو عمل من أعمال الجاهلية وربما لم يكن النبي ﷺ لينتبه إليه لولا أن خطأ آخر نتج عنه وسبّب تنبه النبي ﷺ له هو تلك الجلبة التي وقعت والتي تداعى فيها المختصمان بدعوى جاهلية، هذا الخطأ الثاني كانت للنبي ﷺ معه وقفة لم يتجاوزها، لأنه أمر لا يسكت عنه، رغم أن النبي ﷺ ما كان ليقر الخطأ الأول لكونه من عمل الجاهلية إلا أنه تجاوزه لما هو أخطر منه، وهو وحدة الصف المجاهد فكان علاجه مُركّزاً على الخطأ الأعظم.

الذي نستفيده من هذه القصة هي تلك الأوصاف التي وضعها النبي ﷺ لهذا الخطأ فكانت أوصافه ﷺ أدق الأوصاف وأدلها على حقيقة الموصوف بدون مداراة ولا محاباة، لفظ **"الأنصار والمهاجرين"** الذي جاء على لسان المختصمين في جيش النبي ﷺ وظف توظيفا خاطئا رغم مدلوله الشرعي والذي أقرته

---

[1] ـــ كثيرا ما نسمع من الذين تخلفوا عن ركب الجهاد تعليلهم التأخر عن اللحاق به بضعف المستوى العلمي للمجاهدين أو عدم وضوح رايتهم أو عدم اتخاذهم للتدابير المناسبة في مواجهتهم للعدو وكلها أعذار أقبح من ذنب اقترفوه في حق ديـــن الله وأمتهم ولو أنهم صدقوا لأعدوا له عدته ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم.

الشريعة في كثير من المناسبات حتى أنه قرن بالإيمان الحقيقي كما في قوله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٧٤ ﴾ [الأنفال: 74]، هذا الشعار الإيماني عندما وظف في غير موضعه الصحيح تحول كما وصفه النبي ﷺ إلى شعار جاهلي فجاء وصفه ﷺ صريحا «**ما بال دعوى الجاهلية**».

لا مجال للمصالح الموهومة إذا تعلق الأمر بأخطر شيء وهو وحدة الصف المسلم ولا اعتبار للشعارات الإسلامية إذا كانت حجابا لسموم قاتلة ولا قداسة لها إذا تحولت إلى أداة هدم، هذه هي الطريقة السديدة التي تضع الأشياء على ميزان الحق.

كم عانت الحركة الجهادية المعاصرة من هذه الإشكالية، فهي تارة تقع في فخ قداسة الشعارات فلا تترك مجالا للناظرين أن ينتقدوها أو ينتقدوا المنضوين تحتها، وتارة تقف أمام المتجاوزين وقفة المتحفظ كون المخطئ يحمل شعارا مقدسا رغم أنها على قناعة بجناية المخطئ، وبهذه الطريقة ضاعت الكثير من الاعتبارات المثبتة للمصداقية الجهادية إثر التوقف الطويل أمام التجاوزات مما أزم الوضع لينتج ما هو أسوء.

الوصف الثاني الذي جاء عقب هذه الحادثة يُنبِئُ عن عظم ما استشعره النبي ﷺ من العواقب والآثار السلبية من هذه الدعوة الجاهلية «**دعوها فإنها منتنة**».

لا شك أن للأخطاء مراتب فمنها ما يكون أثره قاصرا على صاحبه فيكون وصفه «**إنك امرؤ فيك جاهلية**» ولكن لا أثار سلبية له على الجماعة المسلمة، أما الأخطاء التي تكون آثارها متعدية فلابد أن لها وصفا زائدا ينبئ عن عظم خطرها وعمق تأثيرها على تماسك الجماعة المسلمة والطائفة المجاهدة بالأخص..

«**دعوها فإنها منتنة**» الشعرات غالبا تعبر عن توجه مشترك لطائفة معينة وأي استعمال للشعار دون اعتبار لحقيقته الوضعية حتما سيقع في الذهن على اعتباره الموهوم، وهو التمايز وحتى لو كان مصدر هذا التمايز الشريعة ذاتها كلفظ "**الأنصار والمهاجرين**" لأن وقوعهما على الحقيقة الشرعية لم يحصل إلا بعد أن وقعتا على الحقيقة القدرية وهي تمايز جنس الأنصار والمهاجرين في النسب والموطن وهو مناط الهجرة ومناط النصرة، وهنا تقع خطورة الشعارات فهي أدوات ذات حدين إذ لو أنها رفعت لإحقاق الحق كانت جامعة ونافعة وإذا هي رفعت من أجل إحقاق الباطل كانت أخطر وأنكى لأنها استندت إلى حقائق شرعية فيقع الفساد بسم الشريعة فيلتبس الحال وتعم الفتنة، وتاريخ الإسلام مليء بحوادث رفعت

فيها شعارات الإسلام على غير وجه الحق فكان استغلالها سببا في انتهاك الحرمات وفعل المنكرات[1].

وصف النبي ﷺ لها بالمنتنة دليل على أن النعرات الجاهلية لا تلبث أن تطفو وأن ريحها النتن لا يلبث أن يعم الساحة إذا لم تخمد في مهدها، وهي طبيعة الروائح المنتنة فهي تشيع بمجرد هبوب رياح الإفساد عليها فأصلها قابع وضررها نافذ ولا صاد له إلا من رآه على حقيقته فقام بعلاج أصله قبل أن يهلك الحياة بنتن ريحه.. فلهذا وجب على الجماعة المجاهدة **أن تعي معيار الحقيقة في موضوع قداسة الشعار ويجب عليها أن تزن ممارساتها وممارسات الطوائف الأخرى على ميزان ومعيار الحق في مسألة الشعارات هو مدى اقتراب أصحاب هذه الشعارات من مقاصد الشريعة** ولا اعتبار لرسومها وأشكالها وإن زينت وزفت بزينة القداسة.

- **قداسة الرموز في ميزان الحق «فصَفْوُه لكم و كدره عليهم»:**

عن عوف بن مالك قال: (قتل رجل من حمير رجلا من العدو فأراد سلبه فمنعه خالد وكان واليا عليهم فأتى رسول الله ﷺ عوف بن مالك فأخبره فقال لخالد: «**ما منعك أن تعطيه سلبه**» قال: استكثرته يا رسول الله قال: «**ادفعه إليه**» فمر خالد بعوف فجر بردائه ثم قال: هل أنجزت لك ما ذكرت لك من رسول الله ﷺ فسمعه رسول الله ﷺ فاستغضب فقال: «لا تعطه يا خالد لا تعطه يا خالد هل أنتم تاركون لي أمرائي إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعى إبلا أو غنما فرعاها ثم تحين سقيها فأوردها حوضا فشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدره **فصفوه لكم وكدره عليهم**») [رواه مسلم و رواه أبو داود بألفاظ أخرى].

القيادات الربانية التي تنسجم عزائمهم القوية وهممهم العالية مع مطالب الشريعة السامية هم كنز لا يعرف قيمته إلا من عاين وشاهد إمارة الحدثاء وإمارة السفهاء ولعل من أعظم النعم على الأمة الإسلامية هي تلك النماذج الصالحة التي خرجت تتخلل سوادها العظيم الذي أُركست عزائمه وأفهامه

---

[1] ــ قولة علي رضي الله عنه التي قالها في الخوارج وهم يدعون تحكيم كتاب الله: «**هذه كلمة حق أريد بها باطل**» هي تعبير صحيح عن هذه الإشكالية، فهي تعبر عن حقيقة ثابتة وهي رفع رايات الحق لتمرير الباطل، وهي من حيل أهل البدع لإيهام الخلق وهو سبب اغترار الكثير من الجهلة وهم يبصرون رايات التوحيد والجهاد ترفرف فوق رؤوس المجرمين وهم يتمحكون بسمة وهدي الصالحين، هذه العلاقة المشبوهة بين شعارات الحق وأهل الفساد هو من شوه معانيها وأبعد حقائقها عن أذهان الناس، وهو ما يحرص أعداء الله على ترسيخه حتى يتسنى لهم إضعاف عظمة المقدسات في نفوس المسلمين حتى يضعف معها التجاوب لنصرتها وإعزازها.

في مستنقع الذل والهوان. وعلى الرغم مما شهدته الأمة الإسلامية من هوان وضعف وتسلط أعدائها عليها إلا أن النماذج الطيبة لرجال عظماء وصالحين لم ينقطع وكأنها وصلت الخير الذي كتب الله أن لا ينقطع امتدادها بخير النبوة حتى تكون هذه النماذج صناعة الله التي أعدها لوقت المحن والبلاء.

القيادة الربانية هي صناعة الله التي اجتباها لحمل لوائه على الأرض ولازالت هممهم الصادقة مع رعاية الله وتوفيقه تصنع الأعاجيب في ساحات الجهاد في سبيل الله حتى لقبوا بوسام الشرف النبوي «**سيوف الله**».

مازالت سيوف الله المسلولة تضرب في الأرض و لم تغمد ما دامت رايات الجهاد تخفق عاليا يقودها رجال من طينة الرجال الأوائل لا يفت في عزائمهم طعنات المغرضين ولا شماتة الحاقدين وتخاذل المرجفين، لله درهم كم عانوا من شر المنهزمين والمنافقين .

ولما كانت الممارسات العامة لأي حركة تصدر عن اختيارات القيادة وتوجيهها، كانت ترجمة المسار الجهادي كحركة تترجم بترجمة مسار قيادته، بحكم تصدر هذه القيادة لمركز الفاعلية في هذه الحركة وهو التوجيه، فلهذا كانت الإنجازات تعزى إيجابا وسلبا لهذه القيادة، وهذا العَزْوُ يوضع استحقاقا أو إلحاقا، وهي حقيقة لا مفر منها في عالم الحركات. ولدور القيادة بالغ الحساسية كانت الحاجة ملحّة لوضع أدوات ومعايير لوزن سلوكها وممارساتها على ميزان الحق[1].

الكلام الذي مر معنا فيما يخص المعيار الحقيقي لوزن الشعار الإسلامي، حيث قلنا فيه أن المعيار الحقيقي لوزن الشعارات هو مدى اقتراب ممارسات أصحاب هذه الشعارات من مقاصد الشريعة. هذا المعيار هو نفسه المعيار الذي نطرحه الآن لوزن الرموز القيادية ووزن هالة القداسة التي تتلبس بهم استحقاقا أو إلحاقا بهم وهما حالتان يعبران عن ظاهرة هي من إفرازات الحركة الجهادية وهي «**قداسة الرموز**».

علاج مسألة **"قداسة الرموز"** لم يكن ليختلف عن نظيرتها الأولى **"قداسة الأتباع"** كون أن القيادة في النهاية بَشرٌ معرض للخطأ ولكن الذي يختلف هنا هو المكانة التي تتقمصها هذه الشخصية وهي تصدرها لمركز الفعالية في التوجيه ومدى علاقتها بالمسار العام للحركة التابعة لها، هذا الاختلاف

---

[1] ــ فرضت الشورى في الإسلام كأهم آلية تقويمية داخل الجماعة المسلمة يتم من خلالها ترشيد المسار الحركي على ظل ما تتبناه جماعة الشورى كممثل عام للجماعة الأكبر ومخرجاتها من آراء وقرارات تكون على وجه الإلزام وهو ما ذهب إليه كثير من أهل العلم وهو أن الشورى ملزمة.

الجوهري يجعلنا ننظر إليها من زاوية أوسع من الحالة الأولى والثانية لأهميتها وخطرها.

الإنجازات العظيمة التي حصلت في تاريخ الأمة الإسلامية وحركتها الجهادية من لدن قرونها المفضلة وإلى يومنا هذا كانت ترتكز أكثر في نجاحها على براعة القيادة الميدانية التي كانت تتصدر مجريات الأحداث، هذه النماذج البارعة تمكنت من إحداث الإنجازات بفضل المواهب العالية في مجال القيادة والتسيير مع تمكنها كذلك من ضبط السلوك الخاص بالأتباع وتوجيهه نحو الهدف المراد تحقيقه، ولا شك أن إخلاص هذه القيادات لرسالتهم المقدسة والبذل والتفاني في سبيل تحقيقها هي من العوامل التي ميزتها عن غيرها من أتباع الرسالة، وتميزهم هذا في جميع هذه النواحي هو سبب تصدرهم لمراكز الفعالية داخل الحركة الجهادية .

تتابع النجاح من طرف قيادة معينة يجعلها محل الثقة والرضا من طرف الأتباع حتى أن هذه الثقة تسيطر على سلوك هؤلاء الأتباع لدرجة الانقياد التام والتسليم لجودة اختياراتها، هذه الظاهرة في ميزان الشرع ظاهرة إيجابية، كون أن الشريعة أسست بعناية تامة للعلاقة الرابطة بين الأتباع والقيادة فجعلت الالتزام والطاعة من طرف الأتباع من الأمور المتعبد بها شرعا[1] كما جعلت التوفيق والسداد من نصيب القيادة الربانية الصادقة التي تعي جيدا مقامها ودورها المنوط بها ومسؤوليتها ودورها في الرعاية الشاملة للأتباع وسلامة مقاصدهم وعدم الغرر بهم في دينهم وأنفسهم وأموالهم، وعلى هذه القاعدة الصلبة تحققت الإنجازات العظيمة لتوفر المحل والوعاء المناسب والمستحق للنصر.

مسار الحركة الجهادية على النمط المثالي الذي ذكرناه يبقى مرهونا باجتماع هذه المعطيات، ولما كان للقيادة الأثر العميق في رسم التوجه العام للحركة كان مستواها الخاص هو المؤشر الدال على المستوى العام فلهذا تعلقت نتائج التقييم سلبا وإيجابا بالممثل الرئيسي والرسمي وهي القيادة، هذه الحقيقة هي ما سنعالجه لنبين حقيقتها وأبعادها وهو السبب لإيرادنا حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

الحقيقة التي تقررت في عالم الحركات أن القيادة الناجحة التي حضيت بالقدر العالي بسبب إنجازاتها

---

[1] ــ من المفاهيم الأساسية والتي يجب أن ترسخ في ذهن المجاهد هو أن طاعة الأمراء في الإسلام هي غير ما تبثه الجيوش الكافرة في منظومتها كوسائل للسيطرة، فهذه الأخيرة تعمل في مراحل الإعداد الابتدائية على إخضاع المجندين الجدد إلى أحوال مهينة لكسر كبريائهم وإخضاعهم حتى يتم سلبهم حق المعارضة والنظر وهو ما تحتاجه لتحويلهم إلى دمى لا إرادة لها إلا ما تفرضه القيادة، أما في المقابل نجد العلاقة في الإسلام بين الجندي وأمرائه هي علاقة الأب مع ابنه والمربي مع تلميذه فالتواضع والشفقة والاحترام هو الجو السائد بينهما وما تمليه القيادة من أوامر هي في الحقيقة ليست أوامر بل هي حض على خدمة الدين وهي كذلك قبول من طرف الجندي لخدمة هذا الدين لا أكثر ولا أقل.

المهمة، تتكون لها نوع من المصداقية القيادية مما يجعلها قابلة للتأثير في التوجه العام لتصبح اختياراتها الشخصية عامل إلهام موثوق.

الإشكال ليس في هذه الحيثية، فالشريعة لم تذم الاختيارات الخاصة إذا كانت في إطار الاجتهاد المأذون فيه، ولكن الإشكال يقع عندما تصبح هذه الرموز القيادية محاطة بهالة من القداسة التي اكتسبتها استحقاقا من جهة لتميزها وقدرتها على صناعة النجاح، وإلحاقا بها من طرف الأتباع وهم يتعصبون في الإتباع من جهة أخرى، وهذه القدسية التي نتجت هي محل النظر وخاصة إذا كانت سببا في تجاوز الحدود المتفق عليها شرعا، وعلى هذا ينتج الانحراف المنهجي، حيث يحدث الإطراء المتبادل غير المنضبط بين الأتباع والقيادة في العملية التي يستند فيها كل طرف على الآخر لتبرير وشرعنة السلوكيات، فالقيادة تشرعن اختياراتها بكثرة الأتباع والمؤيدين، والأتباع يشرعنون سلوكهم بطهرية وجودة اختيارات قياداتهم بغض النظر عن اقترابها من المقاصد الشرعية، وعلى هذا المنوال البدعي تقاس الرموز وما ذهبت إليه من آراء وأفعال.

عملية الإلهام المتبادلة هذه تشكل عامل خطر كبير على القيادات وتوجهها النفسي، فقد تتحول إلى مصدر غرور وتسلط وربما تدرج بها الحال لدرجة الانقلاب على الرسالة المقدسة في سبيل تثبيت القداسة الشخصية وهي عينها مسالك أهل البدع والغلو في الرموز نسأل الله العافية والسلامة.

للحكم على هذه الظاهرة لابد من الرجوع كما أشرنا سابقا إلى الإطار الحقيقي للمعايير الصحيحة، وهو المسار الحركي الجهادي النبوي لننظر كيف كان التعامل مع هذه المسألة أي الرموز القيادية، حديث عوف بن مالك رضي الله عنه والذي جاء فيه مجريات إحدى المشاهد المتعلقة بالحركة الجهادية في صدرها الأول وهي تبرز موضوع إلحاق نتائج تقويم الحركة بممثلها الرئيسي وهي القيادة وهو ما نلاحظه جليا في لفظ النبي ﷺ عندما قال: «**فصفوه لكم وكدره عليهم**»، «**فالصفو**» مصدره القيادة رغم المنازعة فيه و«**الكدر**» مصدره القيادة رغم التنزه والترفع عنه فكلاهما من نصيب القيادة، وهذا اللفظ النبوي على الرغم من مجيئه على خلاف ما قررناه، من كون الأتباع لهم نصيب في صناعة القداسة، لأن الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه في هذا الموقف في مقام اتهام واستنقاص، ولكن الشيء الذي نستطيع إثباته هو أن القيادة يمكن أن يلحق بها ما هو زائد عن حقها إما سلبا أو إيجابا في حالة ما غابت المعايير الصحيحة، وهو ما انتفى في حضور المعيار الحقيقي هنا في هذه القصة وهو حكم النبي ﷺ والذي جاء على وجه الإنصاف رغم أن الخطأ ثابت في حق أحد قواده وهو الصحابي الجليل خالد بن

الوليد رضي الله عنه فكان لفظه ﷺ «**فصفوه لكم وكدره عليهم**» لفظ الواصف المعاتب والمعالج في نفس الوقت، فسبحان من ألهم نبيه إلى جوامع الكلم، فكان الوصف والتشبيه بالغ الدقة الذي يلحق الأشياء بعللها والعتاب المتضمن لضرورة إعطاء كل ذي حق حقه بدون إجحاف، والعلاج الرائع الذي طرح المعايير الصحيحة لوزن الحركة الجهادية وهي ضرورة تحكيم سلطان الشرع المتمثّل في شخصه ﷺ.

أما موضوع علاج الخطأ الصادر من القيادة مع تتريه الغايات من زلل الأتباع فهو كثير في سيرته ﷺ ولعل أشهرها ما حدث للصحابي الجليل خالد رضي الله عنه القائد الميداني الذي ملأت انتصاراته صفحات التاريخ المشرق في مهد الحركة الجهادية المباركة، فكانت قصة قتله لبني جذيمة عندما لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا وتعامل النبي ﷺ معها بالطريقة التي تظهر فيها المعايير الحقيقية لوزن الرموز القيادية المتميزة وإعطائها حقها مع تتريه الغايات من خطأ العاملين تحت لوائها[1].

المهم الذي يجب على الحركة الجهادية المعاصرة فعله هو تقفي آثار الحق حيث كان، والحذر من سطوة الرموز مهما كان ثقلها إذا كانت ممارساتها تنشأ من ارتجالية وعصبية ذاتية، والعمل على ترسيخ مفهوم وزن الرجال بالحق وليس وزن الحق بالرجال في أذهان الأتباع وجعلهم أكثر وعيا في ما يخص مسألة التقليد والإتباع غير المنضبط وهو الحق الذي يجب أن يذهب إليه الجميع، لأن الحق أعتق من كل الرجال والحق أحق أن يتبع، وما انحراف بعض الجماعات والطوائف عن جادة الطريق إلا لتعصبهم لرموزهم القيادية وآرائهم الشخصية والتي غالبا ما تكون نابعة عن سطوة الواقع والله المستعان.

موضوع القيادة يجرنا للحديث عن مسألة الريادة وما يتعلق بها من ملابسات، وهي موضوع المحور الثاني من هذا المبحث.

* * *

---

[1] ـــ قول النبي ﷺ «**اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد**» عند خطئه في قتل بني جذيمة هو بيان صريح على ضرورة تتريه الراية الإسلامية من أخطاء الأتباع والتوقف بشجاعة وصدق للاعتذار عنها والتبرؤ من هذا العمل المشين الذي لا علاقة له بالشريعة الإسلامية المترهة عن أهواء المنتسبين إليها.

المحور الثاني: الريادة في ميزان الحق:

تكلمنا في البداية أن الحركة الجهادية استطاعت أن تصنع التمايز بسبب طرحها للمسار الجهادي كأهم سبيل للتغيير والإصلاح وهو ما جعلها في الحد الآخر من المشهد العام، وهي تفرض وجودها وتثبت بتصعيدها المتواصل في وجه الطغيان نجاعة المسار الجهادي مما أكسبها المصداقية والتأييد، وهذا الأمر طبعا لم يرق للطوائف المنافسة مما جعلها في خط المواجهة الأول، وبسبب اشتراكها كذلك في القاعدة المرجعية الدينية مع الكثير من الطوائف والجماعات حصلت المنازعة في أحقية الريادة والتصدر، وهو ما تطور لاحقا ليصبح البعضُ من هذه الطوائف والجماعات في العدوة المقابلة، تُناصِبُ العداءَ والحرب لتنظمّ جهودها لجهود أعداء الأمة في حربهم على الجهاد وأهله.

المنازعة على أحقية الريادة هذا جعل الكثير من الأطراف تجنح إلى أساليب غير شرعية لإسقاط الخصوم تنتهج فيها التلبيس والتحريف[1] وكَأَهَمِّ سبيل لإسقاط دعوات الخصوم.

خلو المناهج الفكرية المطروحة في الساحة اليوم من المعايير الصحيحة لوزن الدعوات المختلفة يجعلها في كل مرة عرضة لمزلّة العدوان على الغير بغير وجه حق، ادعاء أحقية الريادة دون اعتبار لحقيقتها الشرعية وشروطها الموضوعية هو سبب قفز الكثير من الأطراف على المراحل اللازمة لنجاح العمل الحركي في محاولة لتدارك العجز الحاصل الذي مرده بالأساس إلى قواعدها وتصوراتها الخاطئة في البناء، فراحت تتعجل في بنائها بوضع الأسقف قبل تمام واستواء الأعمدة، وهي الكارثة المتكررة على الدوام والعاقبة من جراء هذا الاستعجال إما إهلاك الطاقة واستنزافها وإما الانحراف والركون لمزلق اللعبة السياسية[2]

---

[1] ـــ درج الكثير من منتسبي وقيادات الأحزاب السياسية الإسلامية وما لف لفيفها من جماعات وتيارات معارضة للأنظمة الطاغوتية بإنكار وجود جماعة مجاهدة أصلا وأكدوا أن الذي يحصل هو أنشطة لاستخبارات دولية تقوم بإثارة الصراعات من أجل قطع الطريق عليهم لكونهم منافسا صلبا، ولكن الذي يظهر أن هذه التيارات لا تعلم إلى حد اليوم أنها الأداة الأولى في يد الاستخبارات العالمية والمحلية كونها تؤصِّلُ بممارساتها لكذبة الديمقراطية، والتي لم تسعفهم رغم أنهم غارقون فيها إلى النخاع.

[2] ـــ من مكائد الغرب الكافر لاستدراج التيارات المقاتلة لمصيدة المفاوضات هو إيهامهم، وذلك بخلق غرور العظمة فيهم حتى تترسخ لديهم فكرة أنهم على ثقل مناسب لفرض مطالبهم وهو ما يفتح الفرصة أمام الغرب في هذه الأثناء لطرح مشاريع سياسية معينة كالدولة المدنية أو الحكم الذاتي وما شابهها من المسارات التي لا تتعارض والمنظومة الدولية وهذه المكيدة في حقيقتها هي عملية قطع الطريق على المسار القتالي لمنعه من التطور.

سننظر في هذا الجزء من المبحث في هذه المسألة الشائكة لعلنا نستطيع وضع صورة واضحة لها حتى لا يكون هذا الأمر من المسائل الهامشية رغم عظمها وخطرها على الجانب الفكري والمنهجي للجماعة المجاهدة، وهو موضوع لا يقل أهمية عن موضوع القداسة إذ بإمكان الانحراف اليسير في هذا الجانب أن يحيف بالمسار برمته عن جادة السبيل.

سننظر أولا في الحقيقة الشرعية للريادة.

و ننظر ثانيا في شروطها ومعالمها.

أوّلا: الحقيقة الشرعية للريادة:

الريادة لغة هي تصدر الركب ورائد القوم هو عينهم التي تترقب مسالك المسار.

سبب اختيارنا لهذا اللفظ دون غيره من المصطلحات الشائعة، كالإمامة مثلا، هو مدلوله المتناسب مع ما سنطرحه من معان وحقائق هي من لوازم الإمامة وليس حقائقها المطلقة والشاملة، فلفظ الريادة قد يعبر عن جزء منها مما يتناسب وأحوال الدعوة الشرعية والقدرية .

تتجزأ الإمامة باعتبارها الشرعي إلى أحوال ومراتب، فلا يسع الإمام الممكّن ترك شريعة من شرائع الدين كما لا يسع غير الممكّن الافتئات على الشريعة بتقمص منازل لا تعبر عن مقاصد الشارع في جانب من الجوانب التي هي من مقاصد وجود الإمام الممكّن، لن نخوض في شروط صحة الإمامة العظمى لصاحبها الذي يمثلها لأن هذا الموضوع قد أشبع بحثا ولكن الذي نحن بصدده هو تبين لوازم هذه المترلة والمقاصد الشرعية التي من أجلها وضعت للنظر في علاقة الواقع المعيش وما يفرضه من أحوال قدرية وما يمكن علاجه منها اعتمادا على ما أقره الشرع الحنيف.

يقول الله عز وجل:﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ ﴾ [القصص: 5].

المتمعن في أحوال الأمة الإسلامية اليوم سيجدها لا تتوفر على مؤهلات ومقومات الوراثة الربانية التي وعدها الله لهذه الأمة وهي من المقاصد الربانية التي أوجد من أجلها الخلق، ولعل أهم ما تفتقر إليه الأمة هي السلطة الوازعة على فعل الاجتماع وهو ما وضعت له أصلا[1] أي الإمام والإمامة، وهي وازع

---

[1] ـــ يرتكز دور الإمامة في الإسلام على تجميع الجهود الإسلامية المتنوعة في سبيل خلق توافق بينها وذلك لتلافي تصـــادمها وضياعها في غير طائل وهو ما نشاهده اليوم من تفرقة في العمل الإسلامي إذا اعتبرنا أن كل عمل سواء كان دعوة أو صناعة

الناس القدري كذلك نحو الامتثال والانصياع لشرائع الدين وبدونها ـــ أي السلطة الوازعة ـــ يبقى دور الوازع الشرعي المتمثل في نصوص الوعد والوعيد ضعيفا وهو ما لا يمكن التكهن بصلابته في نفوس الناس ناهيك عن جعله مربط الخطاب الحاشد والمجمع.

هذه الحالة التي هي من الحقائق الواقعية لحالة الأمة الإسلامية يجعلها أبعد ما يكون عن الشكل الذي تستحق به الوراثة، فلهذا وجب التدقيق أكثر في الحالة التي هي عليها اليوم لإعطائها مرتبتها الحقيقية وما يقترن معها من مراتب في الإمامة.

بعد سقوط الخلافة الإسلامية سقطت معها تبعا الآلية الحكومية الموحدة لصناعة الوازع القدري لتتفرق الأمة إلى كيانات منفصلة يحل محلها طرق حكمية متباينة ومختلفة تقترب وتبتعد عن الشرع بقدر اقتراب ممثليها منه، وعلى هذا الوضع استقرت الحال لتكرس المذاهب الباطلة في الحكم بسبب طول ممارستها واستمرائها.

قيام الطوائف المجاهدة بالجهاد في العصر الحديث سببه الرئيسي هو استرجاع الحكم الإسلامي وهو ما أوقع المواجهة مع أنظمة طاغوتية رافضة للحكم الإسلامي تسندها في حربها دول الكفر في عملية مظاهرة صريحة بين هذه الأنظمة والكفر العالمي.

تعاقب مراحل الصراع المحتدم أبرزت معالم خفية في الفكر الجهادي، ومن أهم هذه المعالم موضوع الإمامة وهو الموضوع الشائك الذي لطالما أحدث هزات عنيفة في قاعدة الفكر الجهادي ليتصدر هذا الموضوع مجريات الأحداث في كثير من المناسبات[1]

والحقيقة التي ظهرت أن التأصيل الشرعي لهذه المسألة لم يخرج عن إطاره الذي قرر قديما في كتب أهل العلم من الناحية الفقهية أو الأصولية والعقدية لمن درسها من هذا الجانب، أما دراستها من الناحية الموضوعية والواقعية باعتبارها منشأ الكثير من النوازل الفرعية هو ما غاب إلا النزر اليسير مما جاد به بعض أهل العلم[1] ولعله موضوعنا في هذه الفقرات.

أو جهادا هي أشياء صالحة لصناعة أمة قوية إذا تم جمعها واستغلالها ولا يتم ذلك إلا بوجود سلطة جامعة تحولها إلى عامل قوة.

[1] ـــ يظهر في كثير من المناسبات أن مفهوم الإمامة وحقيقتها الشرعية هو سبب الكثير من الانتكاسات الحركية لدى التيارات الإسلامية، فتباينت المفاهيم لدى الكثير بما يخص أيّهم يقدم حضور الإمام لإيجاد التمكين أو إيجاد التمكين لإيجاد الإمام، وعلى هذين الحدين اللذين يكرسان لنظرية الدّور تاهت هذه الحركات في دائرة مغلقة مع أن المتمعن في مسألة الإمامة سيجدها واضحة وضوح الشمس، وحقيقتها الرئيسية أنها على مراتب حالها حال جميع التكاليف، وهو ما نبينه لاحقا.

[2] ـــ يجب التنويه بما طرحه الشيخ أبو قتادة في رسالتيه النافعتين **[مقاربة في نازلة العصر]** و**[ربيع المجاهدين ما بعد**

الحقيقة الشرعية الأولى: الوراثة منة المولى عز وجل على الأمة المستضعفة:

الإدعاء هو سجية المتكبرين والمتجبرين ومقولتهم المتكررة ﴿**أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾ تدل على خبايا نفوسهم المريضة التي يخالطها العجب والكبر لدرجة أنهم ينسبون كل الفضل الحاصل للخلق لأنفسهم، فيتمادى بهم الحال إلى درجة فرض أنفسهم للزعامة أو حق الربوبية وهي أقصى مراتب الظلم والجبروت وشعارهم الفرعوني المتكرر هو ﴿**مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى**﴾ فعند هذه المرتبة يكون الإذن بالعقاب ليحيق المكر السيئ بأهله ويأتي الله بنيانهم الذي بنو فيجعله على رؤوسهم فلا مُلْكَ ولا مَلِكَ إلا بإذن جبار السماوات والأرض .

سرت سنة الله في خلقه أن يكون هناك أدعياء يدعون ما ليس فيهم كلابس ثوبي زور[2] فيحاولون بادعائهم إيهام الناس بحقهم في الريادة والزعامة بدون تقديم مبررات وعلامات تبرهن على صدق دعواهم، ولكن حال هؤلاء لا يلبث حتى ينكشف، لأن الدعوات خلفها مطارق الامتحان الصلبة التي تتمايز على إثرها الحقائق من الادعاءات.

الأمة التي تستحق الوراثة هي أمة قريبة الأوصال والوشائج من الله عز وجل، هي أمة خاضعة ومنصاعة لأوامر الله، وقهر أعداء الله لها ألجأها إلى طلب العون والنصرة من الله، إذن هي أمة مستضعفة في أقدار الله قدرها هذا جعلها تعيش البلاء والمحن وهو ما جعلها تجاهد لترفعه، هي إذن أمة البلاء والمحن والجهاد، هي أقدار الله وضعها ليصطفي هذه الأمة للوراثة والإمامة وعلى هذا كله يظهر أن معالم منصب الإمامة هي معالم هذه الأمة المستضعفة، هي إمامة المستضعفين تخرج من رحم الاستضعاف والمحنة تراعي في حكمها أحوال الاستضعاف فلا تغرر بهم ولا تفتئت عليهم ما لا يمكنهم استيعابه وفعله، هي إمامة مرحلة الاستضعاف.

قيام طوائف الجهاد بمهمة الجهاد ومقارعة أعداء الدين والذود عن المستضعفين جعلهم في مقدمة الركب بإتيانهم لمعلم من معالم الأمة المستضعفة؛ وهو الجهاد، وجهادهم هذا جاء بالدرجة الأولى لرفع الأحكام الطاغوتية عن الأرض وتحكيم الشرع الحنيف وهو المقصد الذي به يتم الامتثال والانصياع

المقاربة] إذ عالجت الأولى مراتب الخير وكيفية الاستفادة منه وعالجت الثانية موضوع الريادة بشكل رائع، ينبئ بعلو كعب الشيخ في رسم الحقائق كما هي على الواقع المعيش والرسالتان قراءة ملهمة لمن أراد أن يستوعب حال الأمة الإسلامية اليوم.

[1] ـــ ذكرت هذه العبارة في حديث النبي ﷺ الذي رواه الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة قالت: يا رسول الله أقول إن زوجي أعطاني ما لم يعطني فقال رسول الله ﷺ «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ، كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**».

التامان لتتم بهما العبودية لله عز وجل، وهذا هو المعلم الثاني من معالم الأمة الوارثة التي تستحق الاستخلاف. إذن فإمامة الجهاد هي إمامة الأمة ولا يحق لمن لم يأت بهذين المعلمين الإدعاء، وهي الحقيقة التي لا يماري فيها إلا متمحك لا يستحق الإمامة والريادة.

منة الله لا يستحقها من جانب سنن المدافعة وادعى وطعن في العاملين الصادقين الذين امتثلوا واستجابوا وجاهدوا وضحوا وكانوا في مقدمة الركب يستطلعون الخطر المحدق بالإسلام وأهله ولا لشيء طعنوا إلا لأن الأمة رفضتهم ورضيت بالجهاد وأهله رائدا ودليلا.

الحقيقة الشرعية الثانية: الإمامة معلم لا يغيب والريادة دورها الأول.

كما أسلفنا فبعد سقوط الخلافة وسقوط دور الريادة تبعا وانتقال الحكم إلى صوره الجبرية التي ساست الأمة الإسلامية بالحديد والنار، ليتم إلزامها بالشرائع الطاغوتية قهرا وعدوانا وعلى هذا الأساس نبعت الفكرة النواة وهي تشكيل الجماعة المجاهدة خارج الدوائر السياسية المهيمنة هيمنة العمالة والولاء للكفر للقيام بفريضة الجهاد من أجل دفع الصائل الجاثم على دين ودنيا الناس وتطبيق الشريعة الإسلامية كمنهج حياة[1]، هذه الفكرة الرائدة في تحمل التكاليف الربانية وبأشق مراتبها وهي الجهاد جعلت أهل الجهاد هم روّاد الأمة الإسلامية بلا منازع، وعندما نتكلم عن المنازعة في هذه الصورة نقرر ما أقره الواقع وما أقره أعداء الإسلام أنفسهم بأن **أهل الجهاد هم أصلب التوجهات المعادية لمشاريعهم الباطلة على الإطلاق وما دونهم فهم مطايا للهيمنة .**

الممارسة الفعلية للجهاد مع الالتزام بأحكام الجماعة من إمارة وسمع وطاعة كرس لمفهوم الجماعة والإمامة ولمفاهيمها الكبرى، وهو ما جعل الدور الريادي للجماعات المجاهدة ينطبق على مفاهيم الإمامة وأحكامها كخطوة منطقية تجاه القيام بها في الوقت الذي تتوفر فيه الأسباب ليصبح أمرا مطلوبا وقت ذاك.

ثانيا: معالم الريادة وشروطها:

سننظر الآن في أهم معالم الطائفة الرائدة التي تقوم بدور الريادة لنجعلها علامات نميز بها بين

---

[1] ــ ليس عجيبا أن ترى أعداء هذا الدين يطعنون في قدرة الإسلام في سياسة الأمة ولكن العجيب أن تجد هذه القناعة في عقول من ينتسبون للأمة ممن أركست مفاهيمهم في متاهات الأفكار الغربية دون أن يبذلوا جهدا في قراءة تاريخ الإسلام المشرق.

أصحاب الإدعاءات وأصحاب الحق حتى لا يختلط الحابل بالنابل في الوقت الذي تحتاج فيه الأمة الإسلامية لمن يأخذ بيدها في عالم أظلمت مسالكه وأجدبت مخارج الباطل من إخراجها إلى بر الأمان، وهي علامات أرادها الله لتكون في هذه الطائفة حتى يكون هذا المعترك معترك الرجال الصادقين لا معترك العابثين المتسلقين على جراح الإسلام وأهله، فلا نامت إذن أعين هؤلاء ولا قرت بنصر ما داموا يكذبون على الناس!

– من معالم الطائفة الرائدة: السير نحو الغايات العظمى:

من الانتكاسات المنهجية الخطيرة الرضا بالفتات؛ وهو ما يحصل ــــ بعينه ــــ لأصحاب الادعاءات عند اصطدامهم بعقبات الامتحان والبلاء، وسبب هذا النكوص هو جهلهم بمتطلبات الشريعة وقصور أفهماهم وتصوراتهم كذلك عن استيعاب حجم التحديات التي يفرضها مضمار الصراع العالمي، وأصحاب هذه المشاريع المعوّقة ذهنيا وحركيا لا يتصور منها طرْق الغايات المرحلية ناهيك عن الوصول إلى أرفع الغايات وأنبلها، وما بني على جُرُف من المصالح الذاتية لا بد أن ينهار يوما في مستنقع العجز الذي صنعته العقول المنتكسة التي لم تستوعب الحِكم الربانية من فريضة الجهاد أو لم ترقى بهم هممهم لممارسته فرضوا بالدون مهربا وملجأ لعلهم يحصلون على مقام من المقامات الدنيّة والتي لا تغني عن الإسلام وأهله شيئا.

أما في المقابل نجد أهل الجهاد الصادقين يستلهمون معالم سيرهم من المعالم الربانية التي تقررت في دينهم الإسلام، وهي معالم وضعها الله وارتضاها لكي تكون دينا يتعبد به وليس مصالح ذاتية ساقطة سقوط همم أصحابها.

يقول الله في سورة الأنفال ــــ هذه السورة التي امتلأت بمعالم وقواعد الحركة الجهادية ــــ ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله**﴾ المتقرر في هذه الآية الكريمة شيئان عظيمان وهما وسيلة المدافعة والغاية العظمى، أما الوسيلة فهو الجهاد في سبيل الله وهو ما شرعه الله لصيانة حوزة الدين وأهله من المغيرين عليه وكذلك شرعه ليكون الجارف للعوائق الحائلة دون تبليغ شرعه الحنيف، فهو الوسيلة التي لا محيد عنها ولا بديل لها على الإطلاق وما دونه فهي سبل المنهزمين الذين رضوا بالخنوع والركون إلى الذين ظلموا قال الله عز جل﴿**إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾ أي المفاصلة والمعاداة إذ الفساد وجميع الفساد في الركون إليهم والانشغال عن منابذتهم بما هو دون جهادهم، أما

الشيء الأخر والذي تقرر فهو الغاية السامية والمنتهية في التمام والكمال وهي كمال الدين جميعه لله وليس بعضه أو جزؤه، وهو الأمر الذي تسقط معه جميع الحلول الجزئية والترقيعات المرحلية والتي هي دين المنهزمين الذين رضوا بأن يجزأ الدين ويبعّض فكان من شقاوتهم وجنايتهم على الدين أن ابتدعوا سبلا ومناهج للمدافعة لم يسبقهم إليها حتى أكفر الأمم التي وعت أن الأمجاد لا تصنع بالهزيل من المواقف بل أيقنوا أن الحديد لا يفله إلا الحديد ففزعوا إليه سبيلا للمدافعة وهي سنة الله وسنن الله لا تحابي أحدا.

لقد تقرّر في علم الأصول «**أن الفرع إذا عاد على الأصل بالإبطال فهو باطل**» وهو ما ينطبق تماما على المناهج الباطلة في المدافعة، لأنها رضت بما لم يرضه الله لدينه من مقامات وسط بين أن يكون الدين بعضه لله وبعضه للمستبدين والطغاة[1] وهْما واستصحابا للمصالح المزعومة التي اخترعوها لتتناسب وكسلهم وعجزهم وهممهم الساقطة، هذا الذي ذكرناه هو أعظم معلم للطائفة الرائدة التي تستحق أن تكون رائد هذه الأمة وأما غيرها فأصحاب زور، لا صدق ولا حجة ولا برهان على ادعاءاتهم البتة، فلهذا يجب أن نبين ونحذر من التقاطع مع هذه الأصناف وإن جاءت وحازت على جزء من المقاصد الشرعية لأنهم في الأخير لا يصلحون لدوام الحال ولا يستقرون لصناعة القاعدة المتينة لهشاشة موادهم وعفن أفكارهم.

– من معالم الطائفة الرائدة: دعوة الأمة للاجتماع المتميز و تحمل تبعاته.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ ﴾ [الأنفال: 27].

من الجنايات العظيمة التي أحدثتها الدعوات الباطلة للمدافعة هو ما حاول أصحابها إقناع المسلمين به، وهو إمكانية مصارعة الجاهلية المتسلطة على الأمة عبر مؤسساتها وأدواتها التي هي من نتاجها، فراحوا يوهمون الخلق بأنه لا محيد من امتطاء عربة الإصلاح والتغيير حتى وهي على سكة النظام العالمي الكفري لعدم نجاعة المشاريع المناهضة والمصعدة، والحقيقة التي وقعوا فيها أنهم قد أتوا ببدعتهم هذه على أصل

---

[1] ــــ من أقبح الظن أن يعتقد أحد أن هؤلاء الطغاة الذين ساموا الأمة سوء العذاب وتسلطوا على رقابها بالحديد والنار يمكن إزالتهم أو دفعهم بمزاحمتهم سياسيا دون الحاجة للاصطدام معهم ولكن خيبة هؤلاء ستحصل عندما يبرهن لهم الطاغية أنه طاغية وليس تنبلا من تنابل القصور.

أصيل من أصول الدين وهو الموالاة و المعاداة وهو المناط الذي علقت به مسألة النصرة، وهو ما سنقوم بتبيينه بإذن الله.

من لوازم الامتثال التام للشريعة هو العمل بما شرعته وما أقرته من أحوال وأفعال ومن هذه الأحوال التي فرضتها الشريعة هي مسألة التمايز عن الكفار وعدم الركون إليهم ومجاورتهم في أحوالهم وعوائدهم، ولتحقيق هذه المسألة على وجهها التام جاء الأمر بالولاء ذلأهل الإسلام والبراءة والمعاداة لأهل الكفر في قاعدة واضحة لا لبس فيها.

مسار الطائفة الرائدة مع أمتها مسار الرائد الذي يستطلع الأصلح من المسالك للركب من خلفه، كما أن الأصلح للأمة في هذه الظروف العصيبة هو الدعوة لصناعة الكيان المتميز[1] والمنفصل تمام الانفصال ليتم تحقيق المقاصد الربانية وهي الموالاة والمعاداة، لأن الشرائع لا يُتصور تتريهها من العبث في عقول المؤمنين بها حتى يكون اعتقادهم أنها تمثل منهج حياة حقيقي تتجلى فيه مقاصد الشرائع، وأي نكوص عن هذا الأمر فهو خدش في الإيمان، وعلى هذا الأساس جاء التوصيف الرباني للجماعة المسلمة التي تمثل الكنف السياسي لجميع المسلمين بأوصاف معينة وهو ما جاء في الآية الكريمة في سورة الأنفال.

ارتباط الإيمان بمعالم معينة يدل على عظم شأنها وهو ما حدث في هذه الآية، فرَبْط الإيمان بالهجرة والجهاد والنصرة لهو دليل على شيء عظيم لا يمكن التغاضي عنه، هذه الأوصاف لا تصلح أن تعبر عن شيء معين غير تعبيرها عن أوصاف الكيان الجامع لأفراد هذه الأمة وهي رمزهم وكنفهم السياسي الذي يميزهم عن باقي الأمم، ومن هذه الأوصاف «**الإيمان**» وهو القاسم المشترك بين الجميع و بدون استثناء فعلى اعتباره تثبت الأوصاف الأخرى، الوصف الثاني وهو «**الهجرة**» وهي علامة الانفصال الحسي عن الجاهلية وما يتبعها من مؤثمات، والوصف الثالث وهو «**الجهاد**» وهو علامة صدق الدعوة والامتثال لما أمر به الله من وسائل صحيحة للمدافعة وهو معلم من معالم الأمة المستضعفة التي تعمل للوراثة، والوراثة لا تكون بغير شوكة، والوصف الرابع وهو «**النّصرة**» وهو بيان ضرورة وجود المحل الآوي والناصر لهذه الدعوة وهو علامة موطنها واستقرارها، هذه الأوصاف جميعها تدل على أن سنة الله في تمكين دينه هي

---

[1] ـــ يجب على الطائفة الرائدة أن تطرح خطابا متكاملا يشرح ضرورة تجمع الأمة على المشروع الجهادي كخيار أوحد في سبيل استرداد حقوقها ومكانتها المسلوبة يراجع في هذا الموضوع رسالة سابقة للعبد الفقير، بعنوان [الخطاب الجهادي من أجل خطوة صحيحة نحو النصر]

وجود الكيان المتميز تمايز الجانب المعنوي وتمايز الحال والمكان وهي أسس صناعة الأمة[1] التي تستحق الوراثة والدليل على أن هذه الأوصاف هي أوصاف الكيان المتميز هو ما جاء في الآية نفسها، وهو ما ذكر عقب هذه الأوصاف من وجوب بذل النصرة لمن استنصر طائفة الإيمان إلا على من ثبت له ميثاق[2] والمواثيق لا تقع إلا بين طرفين ممتنعين بشوكة، وهناك معتمد آخر لإثبات أن هذه الأوصاف هي أوصاف الكيان المتميز، وهو ما جاء في الآية التي هي عقب آية الأوصاف وهي قوله تعالى: ﴿**وَالَّذينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾ ابتداء هذه الآية بالواو هو لعطف محتوى هذه الآية على ما قبلها وليكون ولاء الكافرين بعضهم لبعض صفة الكيان الذي هو مقابل الكيان المؤمن وولاؤهم هذا لبعضهم البعض يستلزم وجود جماعتهم ودولتهم وهذا ما يدل على أن العطف جاء لبيان التشبيه والمقابلة فجماعتهم ودولتهم مقابل جماعتكم ودولتكم.

قبل أن نغادر هذا الموضوع أحببت أن أتطرق لملابسة ومغالطة وقعت في ضرورة وجود الكيان المتميز أو الدولة لتحقيق مسألة التمكين والاستخلاف، إذ يرى البعض عدم ضرورة وجود هذا الأمر أي الدولة لتحقيق أمر الاستخلاف وأسقطوا تبعا له الأحكام المتعلقة به كالهجرة مثلا بحجة نسخها بعد وقوع الفتح، الحقيقة التي يجب قولها أن هذه المغالطة بهذا الطرح انجر عليها مواقف خطيرة كانت سببا في تأخر النصر لتأخر أصحابه في فهم الحِكم الربّانية فيما يتعلق بموضوع التمكين والاستخلاف، ولعل أعظم ما حدث هو القناعة بالنموذج المعاصر للدولة، وما يترتب عنها من مواقف سياسية معارضة للشرع بحجة أن الدولة القائمة اليوم ضمن النظام العالمي الكفري هي دولة مشروعة وصحيحة الأركان والواجب فعله فقط هو أسلمة نظامها لتصبح نواة التمكين والاستخلاف[1]

إسقاط أحكام الاستضعاف في هذا الزمان هو جناية على الحركة الإصلاحية برمتها وهي حجة

---

[1] ــ ورد لفظ «**صناعة أمة**» على لسان العالم المصلح الكبير الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله ويدلنا هذا أن الأمة هي مكونات يجب تهيئتها لكي يتسنى لنا بناؤها بناء متماسكا يشد بعضها بعضا.

[2] ــ الهدن والمعاهدات هي من المواثيق التي تعقد بين المتحاربين

[1] ــ من المؤسف أن ترى المسلمين يقتلون في سبيل إقامة دولة الأوهام كما وقع مع الإخوان المسلمين في مصر وهم يعتقدون أن مجرد بلوغ مقعد الرئاسة يعني استحواذهم على كل شيء ولكن الحقيقة أكدت أنهم واهمون وأن أسلمة الدولة بكل ما تمتلكه من مؤسسات وعمق وجذور بدون جهاد يستأصل جذورها وعمقها الممد لها هو أمر مستحيل والدليل هو ما وقع لاحقا بعد الانقلاب العسكري على الإخوان وقتل وتشريد أنصارهم وهم عزل حتى من الحجارة ... فاعتبروا يا أولي الألباب..

المنهزمين لطرح مشاريعهم الباطلة لأن الاستضعاف حاصل فعلا وأي تجاوز لهذا الواقع فهو تجاوز على الحقائق الشرعية التي جاءت لعلاج هذا الأمر، ولنبيّن أن أحكام الاستضعاف سارية لا تنقطع بحجة نسخها ننظر في حال الاستضعاف الذي عاشه المسلمون في مهد هذه الرسالة ونقارن حال الأمة اليوم وبذلك الزمان وننظر هل الأمة مستضعفة وتحتاج لأحكام الاستضعاف أم لا.

أورد ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ**﴾ الآية؛ قول الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى أي آية الاستخلاف (كان النبي ﷺ وأصحابه بمكة نحوا من عشر سنين يدعون إلى الله وحده وإلى عبادته وحده لا شريك له سرا وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى أمروا بعد بالهجرة إلى المدينة فقدموها فأمرهم الله بالقتال فكانوا بها خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح فغبروا بذلك ما شاء الله ثم إن رجلا من الصحابة قال يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هكذا أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح!؟ فقال رسول الله ﷺ لن تصبروا إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملإ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة) انتهى.

على العاقل المنصف الناظر لهذا الوصف الذي بين أيدينا للاستضعاف الذي عاشته الجماعة المسلمة في بداية نشأتها أن يحكم بأن الظروف التي تعيشها الأمة اليوم ليست استضعافا ولا حاجة لها لأحكام الاستضعاف، الذي عاشه الصحابة في كنف دار الإسلام وبكل ما يستلزمه هذا الاسم من حقائق شرعية وهم يحملون سلاحهم جهادا في سبيل الله لا يقارن بحال الأمة اليوم التي لا دار إسلام حقيقية لها ولا جهاد تلتزمه بصفة دائمة وشاملة فكيف إذن يصح قول من ادعى نسخ أحكام الاستضعاف ولا يجوز العمل بها إلى لمن هم في ديار الغرب الكافر اليوم وكأنه يثبت للدول الطاغوتية اليوم في العالم الإسلامي وصف دار الإسلام ويمكنك أن تتخيل وتتصور إلى أين يؤدي هذا الوصف المنكوس.

الاستضعاف وأحكامه ثابتة ما وجدت أحواله وهو واقع في سنن الله الكونية ومنه قول موسى عليه السلام لقومه: (**عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**) [الأعراف: 129]، وهم من قال فيهم الله تعالى ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ**﴾ [القصص: 5]، ومنه قول النبي ﷺ بعودة غربة الدين في آخر الأمر والغربة تستلزم غياب مكانة أصحابه وهيمنتهم على الأديان الباطلة وكثيرة هي الأحاديث الصحيحة التي تثبت عودة الاستضعاف وتسلط الباطل على الحق.

أما القول بنسخ أحكام الاستضعاف بعد الفتح والاستدلال بحديث النبي ﷺ «**لا هجرة بعد الفتح**...» فهو ما يحتاج إلى نظر حتى لا يكون مطية لإسقاط الواجب المتعين على المسلمين في نصرة طائفة الجهاد التي تحمل مشروع الريادة.

جاء في صحيح مسلم تحت باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير وبيان معنى لا هجرة بعد الفتح، فعن ابن عباس قال: **قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ – فَتْحِ مَكَّةَ – «لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»** [رواه مسلم]

فلننظر إذا في معنى لا هجرة بعد الفتح في أقوال العلماء.

يقول أهل العلم: (الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام باقية إلى يوم القيامة، وتأولوا هذا الحديث تأويلين:

أحدهما: لا هجرة بعد الفتح من مكة، لأنها صارت دار إسلام فلا يتصور منها الهجرة.

والثاني: هو الأصح، وأن معناه أن الهجرة الفاضلة المهمة المطلوبة التي يمتاز بها أهلها امتيازا ظاهرا انقطعت بفتح مكة، ومضت لأهلها الذين هاجروا قبل فتح مكة، لأن الإسلام قويّ وعزّ بعد فتح مكة عزا ظاهرا بخلاف ما قبلها.

وقوله ﷺ: «**ولكن جهاد ونية**» معناه أن تحصيل الخير بسبب الهجرة قد انقطع بفتح مكة، ولكن حصّلوه بالجهاد والنية الصالحة) من كتاب [المنهاج شرح مسلم للإمام النووي].

الذي يمكن قوله في هذه القضية أن الصيغة التي جاء بها الحديث، هي صيغة نفي لمعاني الهجرة، وحقيقتها في حال تمكن الجماعة المسلمة وليس النهي عنها ومنعها بعدما فتح الله مكة على المسلمين، وهو ما يرد القول بالنسخ[1]، حكم الهجرة في وقت غياب التمكين ودار الإسلام باق على الوجوب، وحقيقة الحديث تثبت عكس ما ذهب إليه من قال بالنسخ، وعلى هذا نقول أن الهجرة لنصرة الجماعة الرائدة واجب على كل من قدر عليه، وحقيقة واقع الأمة اليوم مع انعدام دار الإسلام توجب نصرة طائفة الجهاد

[1] ــ و ضع العلماء ثلاثة شروط للنسخ وهي:

ــ التأخر: أي تأخر الحكم الناسخ على المنسوخ زمانيا.

ــ المعارضة: أي يجب أن يكون الحكم الناسخ يعارض معارضة صريحة للمنسوخ في الدلالة.

القوة: وهو قوة الحكم الناسخ، أو مساواته للمنسوخ من حيث الثبوت.

وعلى هذا الأساس يتوهم البعض وقوع النسخ في بعض الأحكام لتوهمهم وقوع شروط النسخ فيتم أحيانا محاولة إثبات المعارضة مثلا وهي غير ممكنة، وهو ما أراد أصحاب القول بنسخ حكم الهجرة ولكن الحقيقة لم تسعفهم

التي تحققت فيها معالم الريادة، واللحاق بها متعين على كل مستطيع، والاستطاعة هنا هي استطاعة القيام بالجهاد وليس اللحاق بها للالتزام بجمعها واستيطان موطنها فقط، لأن راية الطائفة الرائدة اليوم هي راية جهاد وليس راية التزام كما وقع للمهاجرين في المدينة، والبيعة تكون على هذا الأساس وهو ما سنبينه عند الحديث عن المعلم الثالث.

إذن إعلان الولاء التام للمؤمنين، والعداء التام للكافرين، هو المفاصلة التامة التي لا يليق معها التقاطع والمعايشة، وعلى هذا يتبين لنا مدى خطورة المزلة التي وقع فيها أصحاب المقاطعات السياسية، فتقاطعهم مع الكفر في الأدوات المسيّرة للصراع، جعلتهم ينقضون ركنا ركينا من أصول الدين، وهو الولاء والبراء، لأنهم وأثناء محاولتهم استيعابهم المصالح الراهنة وليس الدائمة والكاملة كما قرره الشرع، فرّطوا وتغاضوا عن حقوق أنفس مؤمنة يستوجب الشرع نصرتها وإغاثتها، وكم ضُيِّعت حقوق المسلمين جراء هذه الممارسات، وكم ثبتت أباطيل بسببها كذلك والله المستعان، حتى تمادى الحال بأصحاب هذه المشاريع أن تبرؤوا من إخوانهم وتركوهم فريسة سائغة للكفر من أجل تحقيق مكسب يرتجى منه بلوغ الريادة[2]، ويا للعجب كيف تتحول الريادة إلى خيانة، وكيف يثق الراكب بمن يسوقه إلى مصرعه، فالريادة هي شرف وأمانة، قبل أن تكون مقصدا شرعيا. فلهذا لا يستحقها من لم يتحمل جميع الأمة في حضنه، وتعامل معها على أنها شيء واحد وحرمة واحدة لا تجزؤ فيها ولا غرر بأهلها.

يقول الله عز وجل في سورة الأنفال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧ ﴾ [الأنفال: 27]، فلهذا وجب على الجماعة المجاهدة التي تقوم بدور الريادة أن تحمل تبعات هذه الأمانة وهذا المقام الشريف، ولعل من أكبر تبعاته هو بذل النصر والمواساة والمؤانسة والنصح لجميع المسلمين على الأرض وبدون استثناء، وتتبع أحوالهم وأخبارهم حتى لا يفوتها الواجب المتعين عليها، وعليها كذلك أن تتحمل مغبات وآثار الأعمال السلبية الصادرة عن أتباعها، والعمل على تبريرها أو الاعتذار عنها، لأن المصداقية الريادية لأي جماعة أو حركة، هو في صدق فعلها وبيانها ونصحها.

---

[2] ــ يحكي الشيخ أيمن الظواهري حفظه الله في كتابه [فرسان تحت راية النبي ﷺ] قصة وقعت لأحد رفقائه وهو يحيى هاشم بعد أن تم اجتماعه مع عدد من قيادات الإخوان فقال الشيخ يحكي عن صاحبه: (وبطبيعته الصافية وعاطفته الجياشة توجه إليهم بكل مشاعره باعتبارهم القادة الشرعيين للحركة الإسلامية كما أقنعوه.

وجاء إلينا يحمل تصورهم في العمل، كان تصورهم يقوم على أن تكون لهم القيادة من بعد، ولكن لا يتحملون مسـؤولية أي مشكلة تحدث لأي مجموعة فقلت ليحيى: إن هذه لعين الانتهازية، لهم حسنة القيادة وعلينا سيئتها.

- من معالم الطائفة الرائدة : اعتصام أفرادها بمواثيق الاجتماع والوحدة.

قبل أن نخوض في بيان هذا المعلم الثالث وجب التوقف قليلا عند ملاحظات مهمة استوقفتني وأنا أتأمل أحد السور العظيمة في القرآن الكريم؛ وهي سورة الأنفال، الشيء المهم الذي لفت انتباهي وأنا أنظر في معالم الطائفة الرائدة وأتقصى آثارها في القرآن، وجدت أن هذه السورة من بدايتها إلى نهايتها تؤسس لمعالم الريادة، وعلى خلاف سورة التوبة، لم يأت فيها ذكر لمعالم المجتمع الإيماني وما يتخلله من أصناف المنضوين تحت رايته، فسورة الأنفال جاءت ـــ والله أعلم ـــ في ترتيبها تسبق سورة التوبة لما فيها من قواعد وأسس مهمة في البناء الهيكلي الشامل، وهي معالم الريادة والتي هي موضوعنا، فالملاحظ لمجموع آياتها سيلاحظ تكرر لفظ الإيمان والمؤمنين كثيرا، وكأنه إيحاء بأن هذه السورة هي موطن المقامات الرفيعة التي هي من حظ أهل الإيمان ولا استحقاق لهذه المقامات إلا بالإيمان فهما متلازمان تلازم الوجود والمرتبة، فتمام طاعة الله والرسول مثلا من تمام الإيمان، وتمامها أي الطاعة يلزم تمامه أي الإيمان ونقصها يلزم نقصه، وهي قاعدة تنطبق على جميع التكاليف.

جاء الخطاب في هذه السورة بلفظ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قبل ذكر أمور معينة لبيان خطرها وأهميتها، ومنها ذكر التولي من الزحف وهو كبيرة من الكبائر، وجاء ذكر طاعة الله والرسول وهي واجب متعين على كل مسلم، وجاء ذكر وجوب الاستجابة لداعي الجهاد، وجاء ذكر الوجوب بالوفاء لله والرسول والأمانات وعدم الخيانة، وجاء تكرار الأمر بالثبات في اللقاء، وتكرار الطاعة لله والرسول، وزيد عليها النهي عن التنازع، هذه الأمور جميعها هي من تبعات الالتزام بدرب الريادة، وهي بيان حقيقي للمحك الذي توزن عليه جميع الدعوات، فبقدر الالتزام بها تكون الريادة مستحقة، وبقدر الابتعاد عنها والتفريط فيها يكون أمرها مستجلبا ومدعى.

نعود لموضوعنا وهو المعلم الثالث للريادة، وهو الاعتصام بمواثيق الاجتماع والوحدة، لا شك أن الشارع لما فرض الجهاد على الجماعة المسلمة لم يترك الأمر هملا لا ضوابط له، بل على قدر هذه الشعيرة العظيمة كان حجم الأحكام عظيما لضبطها، ولا شك أيضا أن من الأمور البديهية التي درجت عليها الخليقة جمعاء، أن الجماعة المنوطة بها فعل العمل المشترك و الجماعي، لا بد لها من رأس يكون على عاتقه أمر التسيير والتوجيه حتى لا تصطدم الإرادات المختلفة والمتباينة في التوجه فيفسد الاجتماع ويضيع الهدف منه.

من الضوابط العظيمة التي وضعت لضبط زمام الجماعة المجاهدة هو الأمر بالسمع والطاعة للأمراء،

وهذا الأمر بدوره أحيط بضوابط حتى لا يتخذ ذريعة لفعل المنكر، وهو ضابط السمع والطاعة في المعروف.

جاء في حديث ابن عمر الذي رواه البخاري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

جاءت هذه القاعدة النبوية الواضحة لتبين حدود الالتزام بأوامر الأمراء، وجعلت حد التوقف هو المعصية، ليكون ما دونها جميعه أمورا واجبة الامتثال، وكما أن الشارع جعل الطاعة من حق الأمراء، لم يهمل استطاعة الأتباع ومقدرتهم على الامتثال، فأمر الأمراء بالشفقة عليهم، إذ قال رسول الله ﷺ: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به» [رواه مسلم].

هذه العلاقة بين الأمراء كرمزية شرعية، والأتباع الذين هم مادة الدعوة ووقودها للتبليغ، تقررت في أمر أعظم وهو ميثاق البيعة، وهو ميثاق على الالتزام بين الطرفين، مفاده العمل المشترك على إقامة الدين.

وبنود هذا الميثاق تقرر فيه كغيره من المواثيق والعهود والشروط التي على أساسها يبنى العمل المشترك، جاء في حديث عبادة بن الصامت الذي رواه مسلم بيان هذه الشروط فقال رضي الله عنه: (دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: «**إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان**»).

هذه الشروط التي وضعها رسول ﷺ في بيعته لعناصر الجماعة المسلمة فيها دلالة واضحة على حرص النبي ﷺ على وضع المعايير الدقيقة التي تعمل على تماسك هذه الجماعة مبرزا:

أولا: واجب الأتباع في طاعة الأمراء، وأنه حق للأمراء، وهو من الأمور المتعبد بها شرعا.

ثانيا: بيان حدود الطاعة باعتبار أحوال الأتباع، فبيّن لهم الأحوال المختلفة التي قد تعيشها الجماعة في مسارها العام، إذ قد تستدعي الحاجة أن يطيع الجندي أميره في حالة منشطه ومكرهه، أو في حالة كانت أحواله الدنيوية على عسر أو يسر، ليأتي إلى الحد الأقصى وهو إمكانية ضياع حقه أو أنه يرى ويعيش أثرة يكون هو على إثرها على هامش الركب، فيقع في نفسه ما يستدعي مفارقة الجماعة، هذه جميعها حالات بيّنها رسول الله ﷺ للأتباع حتى يكونوا على بينة من أمرهم فيوطنوا أنفسهم لحياة قد يكون التجرد التام للرسالة هو أكبر المطالب.

ثالثا: جاء في ختام هذه الشروط بيان حرمة منازعة الأمراء حقهم في الإمارة، حتى لا يهان هذا المقام الشريف الذي وضع لإقامة الدين، والمنازعة التي نهى عنها رسول الله ﷺ جاءت لحفظ وحدة الجماعة المسلمة بالدرجة الأولى، إذ لا يعقل جماعة بدون مركزية قوية تحول بين تشتت إرادات الأتباع .

رابعا: جاء عقِب هذا الشرط الأخير بيان أمر المنازعة وتبيين القيد الشرعي الوحيد، والذي على أساسه يفسخ هذا العقد، وهو أن يروا كفرا بواحا، أي ظاهرا وجليا، عندهم عليه من الله برهان، وهذا الأمر جاء كذلك لضبط العلاقة التي بين الأتباع والرموز القيادية، وليكون المقياس والميزان هو الشرع، وليس غيره من الاعتبارات، والتي بيناها في موضوع قداسة الرموز.

هذه الرسالة التي تبنتها هذه الجماعة المسلمة، والتي من أهم غاياتها إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، جعلت الالتزام بمواثيقها أمرا دائما لا محيد عنه، حتى يمكنها ذلك من استيعاب أبعاد هذه الغاية العظيمة زمانيا ومكانيا، إذ أن دور الجماعة لا ينقطع، ولا يمكن استيعاب حجم هذه الدعوة إلا إذا كان أصحابها يعيشون حياتهم كاملة على الحال التي تضمن لهم تحقيقها، وهو التزامهم بجماعة المسلمين كمنهج حياة ودعوة وجهاد إلى آخر اللحظات التي تستقر فيها أرواحهم في أجسادهم.

وعلى هذا الأساس جاء تنبيه رسول الله ﷺ على عظم وخطر مفارقة الجماعة، ووجوب الالتزام بها وعدم مفارقتها شبرا واحدا، وهي دلالة على بيان كونها منهج حياة، وهو ما جاء في حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتة جاهلية**» [رواه مسلم].

لفظ الجاهلية جاء ذكره كثيرا في السنة النبوية المطهرة، لبيان المفارقة بين ما كان يعيشه أهل الجاهلية من أحوال وعادات وعبادات، وما جاء بعدها من أحكام الإسلام، ليتبين للناس حسن هذه الدعوة وهي تدفع الجاهلية وأحوالها، ليستشعر الناس عظمة دينهم وهم يرون عدله وحُسنه، وجاء لفظ الجاهلية كذلك كبيان لوصف الحال التي يغيب عنها وصف الإسلام وصبغته، ليعلم المخطئ حجم جنايته وهو يقترف عملا من عمل الجاهلية، والتي لا ينبغي ملابستها بأي حال من الأحوال، والحرص على الحياة بالصبغة الإسلامية قدر المستطاع.

الحديث الذي بين أيدينا هو بيان بوجوب التزام جماعة المسلمين وعدم مفارقتها طيلة الحياة، لأن الحديث جاء بالصيغة التي تحذِّر من مفارقة الجماعة ولو شبرا واحدا، كناية على الحرص المتواصل على التشبث بالجماعة وعدم مفارقتها ولو للحظة، ولهذا جاء لفظ «**ميتة الجاهلية**» حتى يحرص المرء على عدم

الموت وهو مفارق للجماعة، فتكون ميتته ميتة جاهلية، رغم أنه لم يفارق الجماعة إلا شبرا واحدا، ولو كان هذا الحديث وحده لكفى في بيان عظم شأن الجماعة، ولكان زاجرا لمن هوّن أو استهان بأمر الجماعة والمواثيق التي يأخذها المرء على نفسه.

الحقيقة المرة التي تعيشها الحركة الجهادية اليوم، هو فشو ظاهرة نقض البيعات والمواثيق، وقد تجد من وقع في هذه المزلة الخطيرة وهو محسوب على أهل العلم، رغم كونهم يقفون في مقام اقتداء واتباع، ولعل أسوأ ما جرّأ الخلق على هذه المزلة، هو وضعها في مرتبة الذنوب الصغيرة أو تبريرها بعدم توفر شروط الالتزام في الجماعة التي فارقها، كأن يتوهم انحرافها عن الجادة، وكلها مواقف تنبئ بغياب الوعي بما يتعلق بخطر هذه المسألة، وهو الأمر الذي قوّض الكثير من الجهود لجمع شتات الفرقة الحاصلة اليوم.

إيجاد الجماعة الرائدة هو واجب رباني متعين على جميع المسلمين إلى غاية تحقيق الكيان الذي يحمل على عاتقه استرجاع الوراثة لهذه الأمة، وكذلك الهجرة التي لا يقوم الواجب إلا بها، وكذلك قضية الالتزام بهذه الجماعة واجب متعين على كل من لحق بها، والاستهانة بهذا الأمر له تبعاته التي لا نتصور بمن هاجر أو ناصر هذا المشروع أن يقف حجر عثرة في طريقه، في الوقت الذي يعمل فيه أعداء الدين والملة لاستئصال هذه الطائفة الرائدة، علما منهم علم اليقين أن هذه الجماعة على قلة عددها وحيلتها، هي مصدر الإلهام والتحريض، فعلى هذا ننبه كل مسلم وفقه الله للحوق بجماعة الجهاد، أن يلزم غرزها، وأن يعمل على تثبيت هذا المشروع المبارك، وأن يحذر كل الحذر أن يؤتى الإسلام من قِبله والله المستعان.

جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه الطويل ذِكر وجوب التزام جماعة المسلمين وإمامهم فقال رضي الله عنه: (فما ترى إن أدركني ذلك قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، فقلت فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك») [رواه البخاري].

وإلى كل من هوّن من الجماعة نقول: الجدير بك أن تختار لنفسك شيئا من هذه الأشياء، إما أن تعض على حالك وواقعك فتتخلف عن ركب الجماعة والجهاد، وتصبح في حكم الفاسق الذي خذل أمته، وضيّع دينه، وإما أن تعض على هواك وأنت في معزل عن جماعة الجهاد، تبحث عن الجماعة الطاهرة المقدسة، وأي الناس تصفو مشاربه!؟ وإما أن تلتزم جماعة الجهاد وتعض على حبلها، فتكون قد استجبت لله والرسول، والله الهادي إلى سواء السبيل.

بقي لنا النظر في مسألة البيعات وتنوعها وما يتعلق بها من مقامات تتناسب وأحوال الأمة وأصحاب

الريادة فيها، لننظر في حقيقة العلاقة التي هي بين الفرد المسلم اليوم، والجماعة الرائدة، وأي مرتبة من مراتب البيعة تنطبق عليها.

أولا: مفهوم البيعة:

البيعة هنا هي البيعة للأمراء واختلف في أصلها واشتقاقها فقيل: أصلها من البيع لأن المتبايعين يمد كل واحد منهما يده إلى صاحبه، ولما كان الأمراء عند التوثيق بمن يأخذون عليه العهد يأخذون بيده تشبيها بذلك فسميت مبايعة وقيل: بل كانوا يضربون بأيدي بعضهم على بعض عند التبايع، ولهذا سميت صفقة لصفق الأيدي عندها فسميت بها، وقيل سميت مبايعة لما فيها من المعاوضة تشبيها بالبيع أيضا، لما وعدهم من الجزاء والثواب على الإسلام وطاعة الرسول ﷺ[1]

الحقيقة الشرعية للبيعة هي كما مر معنا أنها معاهدة وتواثق بين طرفين على الالتزام المتبادل على العمل المشترك لإقامة الدين، وبموجبها يلتزم المبايع الوفاء على ما بايع عليه.

ثانيا: أنواع البيعات:

البيعات كما قسمها العلماء قسمين بيعة عامة و بيعة خاصة.

أما البيعة العامة فهي التي تكون على الإسلام وجميع ما فرض من أحكام، وهذا النوع هو ما كان يقع على عهد رسول الله ﷺ من مبايعة الناس له على الإسلام والالتزام بشرائعه، ومثال هذه البيعة هو ما رواه البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ وحوله عصابة من أصحابه: «تعالوا بايعوا على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه قال فبايعته على ذلك».

وهذا النوع هو في حق من دخلوا في الإسلام حديثا، ويبقى عهدها في ذمة المبايع ما بقي على الإسلام، فهي إذن بيعة دائمة تستغرق حياة المرء، ويمكن تجديدها لإمام أخر في حالة غياب عهد الإمام لطارئ يقع عليه كسقوط عدالته أو عجزه أو موته، وفي حالة غياب الإمام الأكبر فهي تبذل لإمام جماعة المسلمين، وهي كائنة لا تنقطع أي الجماعة.

أما البيعات الخاصة:

---

[1] ـــ من إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض

فهي التي تتنوع بتنوع صفتها، فهي تقام على شيء معيّن، ومن هذه البيعات البيعة على الخير، والبيعة على الهجرة، والبيعة على الجهاد، والبيعة على الموت، والبيعة على عدم الفرار من الزحف، والبيعة على الصبر، هذه جميعها بيعات وردت في أحاديث صحيحة.

الكلام الآن عن أي نوع من البيعات يتم مبايعة جماعة الريادة عليها، والتي كما بينا أن وجودها واجب شرعي، وأن كل ما يتم به هذا الواجب فهو واجب، ولعل من أهم هذه الواجبات هو عقد الالتزام الذي يقع بين أفراد هذه الجماعة، وهو الوازع الشرعي الحائل دون انفراط عقدها.

كما مر معنا أن غياب الخلافة الراشدة وما تمثله من وحدة سياسية، أدى إلى غياب دار للمسلمين تجمع شتاتهم، وقد بينا أن الدور الرئيسي للجماعة الرائدة، هو العمل على وجود هذه الدار، ولكن حقيقة الصراع الدائر بينها وبين قوى الكفر العالمية والتي تعمل وبقوة لعدم حدوث هذا الأمر؛ هو الأمر الذي أسقط عنها عبئ تحمل تبعات هذا المشروع والذي هو فوق استطاعتها في الوقت الراهن.

من أكبر تبعات دار الإسلام المنشودة هو تحمل تبعات وجود التجمع البشري على أرض واحدة، وهو الأمر الذي يصعب تحقيقه بسبب ما تفتقر إليه من قوة، وكذلك الظروف المحيطة كوجود كيانات عميلة للكفر العالمي تسيطر على معظم البقاع الإسلامية، والتي هي موطن العالم الإسلامي اليوم، هذه الحقائق تبين أن الأمر المتعلق بمسألة الهجرة، وهي هجرة المسلمين لنصرة هذا الجماعة يتقيد وبوضوح، ويقتصر فقط على النصرة للجهاد، وهو ما يبيّن عدم تصور هجرة المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذي لا دور لهم في عملية المدافعة، بل أثبتت التجارب أن هذه الأصناف أصبحت عبئا على الحركة الجهادية بسبب عدم القدرة على حمايتهم في هذه الظروف التي تغيب فيها مقومات التمكين الكامل، فعلى هذا تظهر أن مسألة البيعة والعلاقة التي هي بين أفراد هذه الجماعة هي عقد وعهد على التزام الجهاد وحسب، وكل ما يترتب عنه من متطلبات[1].

هذا المعلم الذي مرّ معنا هو أحد أهم معالم الطائفة الرائدة التي تستحق دور الريادة، كونها تلتزم بالضوابط الشرعية التي تضمن تماسك كيانها، مما يجعلها أهلا لهذا الدور ومقام الريادة اليوم، لا يتحمل

---

[1] ـــ قد يحصل للجماعة المجاهدة اليوم بعض التقلبات في مسارها الجهادي، يستدعي إعادة ترتيب أولوياتها وبرامجها، وحتى أرض المعركة ذاتها، وقد وقع هذا لجماعة الجهاد المصرية وجماعة المقاتلة الليبية حيث انحازت إلى أفغانستان، وحدث هذا كذلك لجماعة القاعدة في أفغانستان بعد الغزو الأمريكي، هذه التحولات والتقلبات تستدعي من أفراد الجماعة المجاهدة التأقلم مع هذه التقلبات، وهذا طبعا في إطار المقدور عليه

التضعضع والتشتت بسبب وجود قوى عالمية موحدة معادية للأمة الإسلامية، وهو الأمر الذي يستدعي توحد الجهود و الرؤى الإسلامية في المدافعة، وما نشهده اليوم من تفرق وتشتت على مستوى الساحات المشتعلة، سببه هو غياب الوعي بما يتعلق بمسألة الجماعة وما يتبعها من أحكام، مما جعل الكثير يتصرف عكس الواجب فعله شرعا، وهذه الحقيقة المرة التي نتجرع مرارتها باستمرار، سببها الرئيسي بعد الجهل بمعرفة الأحكام المتعلقة بالجماعة وحقيقتها الشرعية❷ هو انعدام الوعي الحقيقي بالصراع الدائر اليوم بين الإسلام والكفر، وما يفرضه واقعه المعاش من الناحية السياسية والاجتماعية، وتطور أدوات الهيمنة، وكذلك وسائل المدافعة العسكرية والدعائية الحديثة، هذه كلها أشياء يمكن اختزالها في موضوع النظرية الملهمة لإدارة الصراع، والتي ذهب كل طرف بنصيبه منها، لتتباين التوجهات في الأخير، ويتبنى كل طرف نظريته لإدارة الصراع.

السؤال المطروح الآن وهو مربط الفرس، هل طرحت المناهج الباطلة للمدافعة نظريات صلبة لإدارة الصراع، أم أنها مناهج تؤمن بنظرية الغاية تبرر الوسيلة؟ أم أن الصلابة لا تنفع مع شهوة الريادة التي تقبل بأي مكتسب ولو كان هذا المكتسب اسما كلقب الرائد والقبول بالفتات، وما تخلفه العملية السياسية من فضلات على موائد الكبار؟

وهل استطاعت الطائفة الرائدة أن تثبت أن لها نظرية صلبة لإدارة الصراع، فتستحق مكانة الريادة بدون منازع، أم أن الحركة الجهادية كانت تتأثر بما تحمله من ثقل كالأتباع والشعارات والرموز القيادية؟ وهل تأثرت بما أفرزته الطوائف الباطلة من نظريات وسلوكيات؟ هذه التساؤلات هي ما سنحاول قراءته في المبحث التالي، ولعلنا ندندن فيه عن معالم النظرية الملهمة للطائفة الرائدة.

---

❷ ــ من الأسباب التي كانت سببا في فشل الوحدة والاندماج في الساحة الشامية، هو عدم تصور الكثير من الجماعات لحقيقة الجماعة التي ستكون جامعا لشتاتهم فأخذ البعض يصور هذه الجماعة على أنها جماعة بمقاييس وقواعد مختلفة، وهذا في حقيقته ترقيعٌ، في الوقت الذي يظن أنّهُ التوفيق، لأنه لا يمكن بناء جماعة مسلمة بغير القواعد الشرعية التي فرضها الله لهذا الشأن، ومن أهمها السمع والطاعة والتزام ميثاق البيعة عليها، والذوبان فيها ذوبانا كليا يساعد على تحقيق مقاصدها، وما نراه من أشكال للوحدة اليوم وجمود الفصائل المجتمعة على تكتلاتها الأصلية داخل هذه الوحدة لهو دليل هشاشة وقابلية التشظي من جديد.

المبحث الثالث: النظرية الملهمة لإدارة الصراع

كان ختام المبحث الثاني هو بيان أحد أهم معالم الطائفة الرائدة (الاعتصام بمواثيق الاجتماع والوحدة)، وهو الأمر الذي يجب علينا النظر فيه على وجه التمعن، لنطرح سؤالا مهما وهو:

ما هي الحكم الربانية من وضع الضوابط الصارمة لجماعة المسلمين، والإنكار الشديد على كل عمل يضعف من تماسكها ؟

للجواب على هذا السؤال يجب أن نعلم شيئا مهما هو من أصول هذا الدين، وهو حقيقة الرسالة الإسلامية، وأنها خاتمة الرسائل السماوية التي جاءت لتهيمن على الأديان السابقة، فلا يبقى دين يتعبد به لله إلا هذا الدين، وكل الشرائع النِّحل فهي باطلة إلا ما أقرته الشريعة الإسلامية من عبادات وعادات كانت في الأديان السابقة، لتصبح هذه الشريعة هي المهيمن على جميع الأديان، وعلى هذا الاعتبار في التفرد جاءت ضرورة الالتزام بأحكام هذا الدين المتفرد، لكي لا يكون مصدرا آخر لتلقي الأحكام، وهذه حكمة ربانية بالغة، فجاء دينه مهيمنا لكي لا تتشتت إرادة خلقه في التعبد، وعلى هذه السنة الشرعية المحكمة بُنيت جماعة المسلمين لتكون أحكامها وضوابطها تتسق ووحدانية التشريع، ليتم ضبط إرادات الجماعة المسلمة وقصدها في التعبد بأمر قدري سبق في علم الله، وهو ضرورة التجمع للكائن البشري لصلاح أحواله، وبهذا اجتمعت الحِكم الشرعية والحِكم القدرية في جماعة المسلمين، ليكون اجتماعها مقصدا في حد ذاته، ولم تَرْقَى هذه المسألة إلى حد المقاصد حتى كانت هي في حد ذاتها وازعا لإقامة مقاصد أخرى، وبهذا النسق الحكيم في التشريع الرباني جاءت جميع الأحكام، كل حكم يوطد لغيره، فتتعاضد الأحكام وهو سر انفراط عقدها في حالة غياب بعضها، ولعل من أهم صور هذه الحكمة الربانية هو موضوع الجماعة، فمفهومها الأكبر وهو إقامة الدين، جعلها هي يد الله ووازعه المحكم لشرائعه.

وبهذا المفهوم العام للرسالة الإسلامية نستطيع معرفة الحكمة الربانية من وضع أحكام الجماعة المسلمة لنعلم أن أحكامها هي نسق من أنساق التشريع العام، فهذه الأحكام جاءت لحفظ هذا النسق العام من الانفلات ليكون هذا الأمر هو الوازع الديني والقدري في نفس الوقت لإلزام الجماعة المسلمة جمعاء لتجتمع على رسالة واحدة لا شريك لها في عملية الإلهام والتوجيه.

هذا الأمر يجعلنا نتحدث عن أهم شيء جاءت أحكام الجماعة لضبطه وهو «**المركزية في مصدر**

تلقي القرار»، ولما كان الدور الرئيسي للإمامة في الإسلام هو سياسة دنيا الناس بالدين كانت خلفية هذه السياسة بالدرجة الأولى هي الدين، وجميع مخرجاتها لسياسة الأمة مصدرها الدين، هذا هو الأصل في علاقة الإمامة بالأمة، فهي إذن سلطة تنفيذية لتطبيق شرائع الدين في دنيا الناس.

والحقيقة الأخرى التي وجب معرفتها هي أن الأحكام التشريعية جاءت على مراتب لتتناسب وأحول المكلفين من جهة الاستطاعة والجنس والحال، فلم تَرِدْ شيئا واحدا في حق جميع المكلفين ولهذا جاءت فروع الأحكام لتضع كل حال من أحوال المكلفين على هيئة معينة، وهو ما تعالجه الأحكام الفقهية المتنوعة وهي من دقائق العلم التي لا يسع غير العالم تصور إسقاطاتها على الواقع، إذن فالسياسة الشرعية المتبعة هي سياسة بجميع ما تحمله الشريعة الإسلامية من مراتب وأصول وفروع وأحكام فقهية والتي لا يسع غير العالم معرفة وجه تنفيذها على واقع الناس، وعلى هذا الاعتبار تبين أن أحكام الجماعة جاءت لدرء الخلاف الممكن وقوعه في حالة العمل بهذه الأحكام المتنوعة لتصبح اختيارات الإمام هي الحائل دون تعدد الاختيارات، فيكون الأمر إذن جليا فيما يتعلق بأحكام الجماعة أنها جاءت بالدرجة الأولى لدرء الاختلاف في الدين وإلزام الجماعة بمذهب واحد وطريقة واحدة وهي ما اُصطلح عليه في عالم الحركات بالمركزية في تلقي القرار.

حقيقة النظرية الملهمة:

الكلام عن المذهب والطريقة يجرنا للكلام على ما أصبح يعرف اليوم بـــ«**النظرية الملهمة**» وهي مصطلح حادث[1] وضع للتعبير عن الإطار العام الذي تسير فيه السياسة العامة وكأنها اختزال لأهم معالمها التي تتسق جميع الاختيارات السياسية فيها، وكغيرها من الحركات المفعلة للمجريات السياسة العالمية أخذت الحركة الجهادية نصيبها من المصطلح الحديث وهي تعبر عن أدبياتها الحركية حتى أنها وظفتها للتعبير عن حقائق شرعية هي من أصول دينها الحنيف ولعل هذا الأمر أحدث في كثير من المرات نوعا من الذهول عن الحقائق الشرعية المبانة لهذه المصطلحات بسبب الاستغراق الطويل في استعمالها كحقائق

---

[1] ــ هذه المصطلحات هي من عموم البلوى كون أن الصراع العالمي اليوم أصبحت تحركه مفاهيم وأسس مغايرة تماما لما كان شائعا قبل عصر الصناعة، وهو ما أثر على التفكير الغربي في صياغة أفكاره حتى أصبحت جميع حساباته هي حسابات مادية لا علاقة لها بالقيم الحسية، وعلى هذا اضطر من أراد قراءة خطط الغرب إلى قراءتها قراءة مادية والتفكير في أضدادها بنفس الموازين وهو ما جر الفكر التحليلي الإسلامي إلى استعارة بعض المصطلحات حتى يتم التعبير بها على معان معينة هي من وحي الثقافة الغربية على الفكر البشري كونها ثقافة المتغلب.

وليس كمصطلح معبر وهو ما برره البعض بلفظ "**لا مشاحة في الاصطلاح**"..!.

المهم معرفته الآن هو:

* هل الالتزام بمبادئ «**النظرية الملهمة**» العامة هو إصابة للمركزية أم أن المركزية تحتاج لإصابتها الالتزام التام والكامل لتفاصيل العمل؟

* وهل مطلب المركزية مؤدي إلى إشكالية القداسة في الرموز كونهم من وضع النظرية أم أن النظرية قداستها أكبر من أن يتحكم فيها الرموز؟

أوّلا: هل «النظرية الملهمة» للحركة الجهادية تصلح أن تكون مصدر إلهام للجماعة المجاهدة وتطبيقها يحقق المركزية:

كما تقرر معنا سابقا أن عقد الالتزام بين أفراد الجماعة اليوم هو عهد على الجهاد والقيام به لغاية إقامة دار للمسلمين تمثل كيانهم السياسي وحتى وقت تحقيق هذه الغاية يبقى الالتزام على أساس الجهاد وحسب، فلهذا يكون أفراد هذه الجماعة المجاهدة مطالبين بتحقيق أهم شرط فيها وهو السمع والطاعة لتكون قرارات القيادة المجاهدة هي مصدر التلقي الوحيد حتى لا تتشتت الجهود المبذولة.

قرارات هذه القيادة تخضع في غالب الأحيان إلى رؤية شاملة لساحة الصراع مما يجعل سياستها في الأخير تتسق تحت خطوط محددة، ولما كانت القيادة تمارس مهامها على أرض حرب ومعركة كان التوجه العام للسياسة يغلب عليه الطابع العسكري كأهم إطار جامع لمفردات القرارات، وقد يظهر إطار ثان لهذه السياسات في المراحل المتقدمة للصراع كأن تكون هناك مكاسب ميدانية تستدعي العمل على المستوى المدني، هذه هي أهم الإطارات الجامعة للمفردات القرارات الصادرة عن القيادة المجاهدة.

وعندما كان الطابع العسكري هو الإطار البارز كانت السياسة تستدعي ممارسة النظر في الخطوات المستقبلية كأهم مطلب في السياسة الحربية مما جعل التخطيط يمس المراحل القادمة كحيز زماني ويمس كذلك الأرض كميدان متغير المعطيات، ومحصلة هذا التخطيط المترامي الأبعاد هو ما عاد يعرف بـــ«**النظرية الحركية لإدارة الصراع**» والتي تطرحها القيادة كمصدر إلهام حركي فيه الكثير من المغيبات مما يجعل أمر الامتثال به يحتاج إلى ضوابط دقيقة، وهو ما جاءت به أحكام الجماعة المسلمة في منهجية واضحة لا لبس فيه.

النظرية الجهادية بهذه الصورة التي طرحناها يمكنها أن تكون مصدرا لإلهام الجماعة المجاهدة لكونها

لم تخرج عن ضوابط العقد الذي أبرمت بموجبه البيعة؛ وهو الطاعة في المعروف، وعلى هذا نقول أن إيجاد المركزية في القرار والتي هي من مقاصد وجود أحكام الجماعة لا يمكن تحقيقه إلا بالالتزام بجميع تفاصيل هذه النظرية، وننبه إلى أن أي اعتقاد يسوغ فيه الطعن في النظرية الملهمة التي وضعتها القيادة بحجة أن أبعادها تشتمل على تصورات مغيبة فهو منازعة لهذه النظرية وأصحابها وهو أمر مناف لشرط مهم من شروط البيعة، وهو عدم منازعة الأمر أهله وتحمّل متغيراتها الطارئة التي هي من سيم النظرية الحربية وهذا من صميم المركزية، وتاريخ الحروب شاهد على أن الثمار المرجوة من اتباع سياسة حربية معينة قد يطول فلهذا وجب عدم المنازعة فيها بدعوى عدم ظهور ثمارها.

ثانيا: هل «النظرية الملهمة» أمر مقدس وإيجاد المركزية لتطبيقها مؤدي لإشكالية قداسة الرموز:

هذا السؤال هو معترك التحديات في الساحات الجهادية برمتها ولا يكاد يقع إشكال إلا من وراء هذا الموضوع ولقراءة هذا الموضوع قراءة صحيحة يجب فصل محتواه إلى شقين :

الشق الأول: هو قداسة النظرية.

والشق الثاني: هو المركزية كإشكالية تصنع قداسة الرموز.

1- قداسة النظرية:

كما أشرنا سابقا أن النظرية هي اختزال لمختلف الاختيارات السياسية التي تنتهجها الجماعة، وهذه الاختيارات تنقسم باعتبار تطبيقها في الميدان إلى ثلاثة أقسام:

- اختيارات شرعية منهجية تمس الجانب الديني والعقدي.
- اختيارات سياسية تتعلق بالسياسة المتوجهة بالأساس إلى الخصوم وهم الأعداء وكذلك المخالفين بحكم اشتراكهم في صياغة المشهد العام.
- اختيارات عسكرية تتعلق بمجريات المعارك ومتطلباتها من أساليب وفنون.

هذه أهم أقسام السياسة العامة التي تنتهجها الجماعة المجاهدة، وهناك قسم آخر لم نذكره لعدم بروزه على الواقع وخاصة في المراحل الابتدائية، وهو السياسة الموجهة لعلاج المجال المدني وهو ما يبرز

أكثر في المراحل المتطورة من الصراع عند خلو المناطق المتنازع عليها من الهيمنة المعادية.

إذن فالنظرية الملهمة الخاصة بالجماعة الجهادية تتنوع مراتبها لتنوع مجالاتها فمنها ما هو من الأصول الشرعية التي تتعلق بالمعتقد وهي أصول ثابتة لا يجوز غيابها كونها تضع المفاصلة العقدية بين أهل الحق وأهل الباطل كمسألة الولاء والبراء وهي حتما تقع في مرتبة المقدس، وهناك مراتب أخرى كالاختيارات السياسية الموجهة للخصوم والمخالفين تقع دون مرتبة المعتقدات كونها تخضع لاجتهادات القيادة مع أنها في أصولها تتقاطع مع المسائل العقدية كمسألة تحييد الخصوم فهي مسألة متشعبة ودقيقة المباحث ولكنها في النهاية لا تقع في مرتبة المسلمات، وهناك مراتب أخرى أدنى وهي الاختيارات في المجال العسكري فهي تخضع أكثر لمتطلبات المعارك كاختيار أرض المعركة وانتهاج أسلوب معين أو فن معين، هذا التنوع في المراتب يزيل وصف القداسة عن النظرية في جانبها الاختياري ويثبتها في جانبها الإلزامي وهو الجانب المنهجي ولكنها من الناحية العامة فهي إلزامية بالكلية كونها لم تخرج عن المعروف الذي هو مناط إلزامها على جميع أفراد الجماعة.

2- المركزية كإشكالية تصنع قداسة الرموز:

بعد أن بينا أن «**النظرية الملهمة**» في حقيقتها العامة هي أمر إلزامي بالكلية يأتي الإشكال في كيفية التوفيق بين المركزية العملية كمطلب مُلِحّ وبين النتائج الفعلية لهذه النظرية على الواقع، كون الواقع سيكشف مدى إصابة هذه النظرية للغايات المنشودة أو إخفاقها، وإذا وقع الإخفاق في مرحلة معينة فلابد أن المركزية ستكرس للقداسة شئنا أم أبينا، **إذن ما هو الضابط وما هي حقيقة العلاقة التي هي بين الجماعة ونظريتها الملهمة لإدارة الصراع؟**

ليست مجازفة إذا قلنا أنه لا يوجد منظومة بشرية على وجه الأرض يمكنها أن تعالج هذه الإشكالية داخل الجماعة المنوطة بها فعل العمل المشترك كما عالجها الإسلام.

سنضع أهم معالم العلاج الإسلامي لهذه الإشكالية ثم نتطرق لكل جزء محاولين رؤية الضوابط التي من خلالها يتم الحكم على التوجه العام للحركة الجهادية.

أهم هذه الضوابط هي:

طرح التقوى والصبر وقبول الأمة مقابل الغايات والأصول المنهجية.

طرح الكفاءة وأصحاب السبق مقابل جودة الاختيارات.

- **طرح التقوى والصبر مقابل الغايات والأصول المنهجية:**

الذي مر معنا سابقا هو تقييد للأنظار لأهم معالم المسار الحركي الجهادي وأهم ما أفرزته هذه الحركة من معايير وموازين بما يقابلها من حقائق شرعية ليتمكن القارئ والناظر من استيعاب حجم التفاوت الملموس بين الممارسات المستوحاة من النصوص الشرعية وبين حقائقها الفعلية على الأرض، ومن أهم هذه التطبيقات هو ما يتعلق بالنظرية الملهمة لإدارة الصراع، والتي هي عنوان الحركة الجهادية برمتها ففيها تتجلى الحقائق الخاصة بكل جماعة وما هي الموازين التي اعتمدت عليها لوزن سلوكياتها.

الذي نحن بصدده الآن هو وزن النظرية الملهمة على ضوء ما قررناه من معايير وضوابط لنربط ما مضى بما هو آت.

النقطة التي سنبدأ بها: ما هو الضابط الذي يحول بين تحول المركزية إلى أمر مقدس يجيز التعدي على الثوابت المنهجية والغايات السامية.

الضابط الذي وضعته الشريعة لضبط هذا الجانب هو سلامة دين وقصد القيادة وشدة وفائها للرسالة التي تقاتل من أجلها ولكن قد يتساءل أحدهم فيقول كيف السبيل لمعرفة إخلاص القيادة لرسالتها وهو أمر غيبي مكمنه القلب والنفس؟

نقول إن الإسلام ولله الحمد هو دين الحقائق والقرائن فمن أراد أن يكشف عن حقيقة معينة رأى القرائن تحف بها من كل جهة، فالقرائن تنبئك بصدق المدعي فإن كان مدعيا فقرائن الحال تدلك على زيف دعوته وإن كان صادقا دلتك على صدقه .

في عالم الحركات ليس هناك قرينة أصدق من خوض المرء للجهاد وصبره عليه لتنبئك بحقيقة معدنه وأي أصناف الرجال هو، فالمعْلم الأول الذي مر معنا في معالم الطائفة الرائدة يكشف عن حقيقة الشخصية الرائدة التي تحمل في نفسها ذلك الحجم العظيم من الأمانة، تلك الأمانة التي تنوء بحملها الجبال، غايات عظيمة لا يتجرأ على الصبر في سبيل تحقيقها إلا عظماء من طينة العظماء الذين صنعوا مجد الأمة الأول، هذه المرتبة العظيمة لا يتصدر لها إلا من صقلته المحن والتجارب فساقته الأقدار إلى الريادة باختيار من الله، فهم للريادة وهم أهلها ودليل صدقهم هو قبول الأمة لهم والأمة تنظر بعين الحق ولأن الحق لازم أصحاب الريادة فما كانت الأمة لتخطئ الحق لتخطئ في دعي لا صلة له بدرب الحق.

الضابط إذن هو اختيار الأمة وقبولها؛ فهي على صعيد توحد الخير الذي فيها تعطي أهل الصبر

والتقوى وأصحاب الغايات العظمى حق الريادة وحق الاجتهاد فيما يسوغ فيه النظر، وعلى هذا الأساس تسقط جميع المعايير الزائفة التي عملت لتمرير الخونة الأدعياء الذين لم يبذلوا جهدا في نصرة الدين و لم تشهد لهم الأمة مواقف تشهد لهم بالصدق والتقوى والصبر .

إذن قبول الأمة لأهل التقوى والصبر هو الضابط[1] والحائل دون انحراف المسار عن الجادة وأي إسقاط لهؤلاء بدون بينة فهو إسقاط لمشروع الأمة برمتها وإسقاط لعدالتها وعدالة خيارها من أهل الفضل والسبق.

– طرح الكفاءة وأصحاب السبق مقابل جودة الاختيارات:

المركزية على الرغم من كونها مطلبا شرعيا إلا أنها لا تمنع الوقوع في قداسة الرموز، وما تفرزه هذه الظاهرة من سلبيات قد تعين على شيوع ظاهرة الارتجالية المستعلية على الثوابت بحجة الأحقية في الاجتهاد والنظر.

الضابط لهذه الإشكالية هو تقديم أهل الكفاءة والسبق لحسم مادة الارتجالية المقيتة وجعل كفاءتهم وتجربتهم معيارا لجودة الاختيارات، لأن كفاءتهم تضمن غوصهم في المسائل بعلم ودراية وهي محصلة ذاتية يمتلكها صاحب الدراية في فن معين كونه متخصص فيه، فلا ينبغي تقديم الجهلة في مقامات العارفين لنظن بعدها أننا سنجني اختيارا صحيحا!

أما مسألة السبق والتجربة فهي من أهم الضوابط وتنم عن مسألة دقيقة وهي معرفة الواقع معرفة جيدة، وهو ما يتمتع به أصحاب التجارب عن غيرهم، وربما الكفاءة والتجربة هي وحدها من يقرب النظر للصواب وهي سنة كونية تشهد بها البشرية جمعاء .

الجهاد لمن مارسه على قواعد صحيحة، هو مدرسة للتربية النفسية تجعل المرء في توازن نفسي مستمر لا تهزه الزلازل ولا تؤثر فيه الدعاية مهما كانت براقة، أنه في ممارسته للوقائع المتعاقبة تظهر لديه حقائق الأشياء دون عوارضها والتي لا يمكن مشاهدتها في غير مواطن المحن والبلاء، فتجده في كل مرة تعرض عليه مسألة في باب من أبواب العمل الجهادي يتريث حتى يظهر جوهر هذه المسألة ليحكم فيها

---

[1] ـــ هذا الضابط يعد كذلك أحد أهم الضوابط في تولية خليفة المسلمين ولعل قول الصحابي عبد الرحمن بن عوف لعلي رضي الله عنه وهو يستشير الناس في توليته خليفة هي خير معبر عن هذه المسألة إذ قال: إني وجدت الناس لا يعدلون بعثمان رضي الله عنه.

حكم العارف بالجواهر لا حكم الواقف عند الظواهر، ولهذا تكون اختيارات أصحاب التجربة أقرب للصواب لإصابتها الحقائق.

أما غيرهم من الحدثاء ممن ابتليت بهم الساحة الجهادية والذين لم تربى نفوسهم على هذه الملكة فتراهم يسارعون في الفعل والقول، فيكون إفسادهم من حيث يظنون أنهم يصلحون فتنموا فيهم سجية التعالي على الحق فلا يرجعون ولا يذعنون، وهم في كل مرة وقود الفتن والبلايا فلا يأتمنون على مصالح المسلمين ولا ينتظر منهم خير أبدا ما دامت بذرة الاستعلاء كامنة في نفوسهم.

المبحث الرابع: المنهجية الصحيحة لتطبيق «النظرية الملهمة»

كما هو معلوم أن الأفكار لا يمكنها أن تتجسد على الواقع إلا إذا تبناها الناس وتقمصوا أدوارها بكل إخلاص وتفان، وعلى قدر وضوح هذه أفكار وفهمها وواقعيتها يكون تطبيقها ممكنا، وعلى هذا الأساس تبنى المنهجية الصحيحة لتطبيق النظريات الملهمة باعتبارها خلاصة أفكار ورؤى عملية تحتاج من يجسدها على الواقع .

النظرية الملهمة لإدارة الصراع في تطبيقها العملي ترتكز على بعدين:

البعد الحقيقي: وهو ما نتمتع به من إمكانيات وأدوات.

والبعد الافتراضي: وهو ما نتصور حدوثه أو فعله اعتمادا على معطيات معينة وكذلك اعتمادا على ما أثبتته التجارب.

لتحقيق «**النظرية الملهمة**» على الوجه الصحيح يجب النظر بالأساس إلى من لهم الدور الأساسي في تطبيقها، ولا شك أنه في إطار الكلام عن الجماعة المجاهدة التي مهمتها إعادة المكانة الريادية للأمة سيكون العمل متعلق بهم مباشرة، ومسألة إعداد هذه الجماعة لتأهيلها وتأهيل أفرادها يكون منصبا على النقاط التالية:

1- يجب أن تكون النظرية واضحة الغايات.

2- يجب أن تكون النظرية مفهومة الأساليب.

3- يجب أن تكون النظرية واقعية وقابلة للتطبيق.

هذه الواجبات الثلاث هي المطالب المهمة لتحقيق أي نظرية مهما كانت أبعادها وأي إخلال بواجب من الواجبات الثلاث سيؤدي إلى بروز إشكالات قد تؤدي إلى هدم النظرية بأكملها إذا لم يتدارك الخلل، سننظر في هذه النقاط الثلاث مع إبراز بعض ما يمكن حدوثه في حالة الإخلال بها.

1: تكون النظرية واضحة الغايات:

لكي تتمتع الجماعة المجاهدة بالحصانة الفكرية يجب أن يكون أتباعها مملوئي الوجدان والفكر بنظريتهم الملهمة حتى لا يكونوا عرضة للهدم الفكري المضاد الذي يتربص الفجوات حتى يضعف من الاتساق الحركي العام، ولا شك أن الانقسامات الحادثة وشرود العناصر مرده بالأساس إلى هذا الأمر، فلهذا وجب العمل على جعل النظرية الملهمة للجماعة المجاهدة قاسما مشتركا يشترك فيه جميع الأتباع، يتعلق فيه الجميع تعلق الواعي المسترشد لا تعلق المقدس الغالي. ولتحقيق هذا وجب جعل المراحل التي تمثل مراتب الرقي من هدف إلى هدف واضحة، كذلك كي لا يتم استغراق المرتبة على حساب التي تليها فتعطى كل مرحلة حقها من الإعداد والوعي آخذين بالاعتبار البعد الافتراضي والتركيز عليه لما فيه من ملابسات لا يفهمها الكثير من الأتباع وهي ما تعلق بالجانب السياسي للصراع كالتعامل مع المخالف وتحييد الخصوم وكذلك تنمية الوعي السياسي العام وما ينشئه من ملكة ومرونة في التعامل مع الأحداث وطريقة فهمها .

المهم في هذا كله هو أن تكون النفوس مشحونة بشحنة إيمانية تستصغر الصعاب في سبيل تحقيق الغايات السامية التي رسمت النظرية لتحقيقها، وحتى لا تشرد الهمم يمنة ويسرة وهي تواجه حملات التشويه والتشكيك والاستقطاب فنكون قد حصنا أفراد الجماعة ووحدنا همتهم ووجهتهم.

2: تكون النظرية مفهومة الوسائل

يجب أن نربي الأجيال على التقوى في سبيل تحقيق غايات الدين فلا يبرروا وسائل عملهم لمجرد قداسة مكانتهم وغاياتهم، ولتكن هذه قاعدة الانطلاق يتوقفون ويراجعون أنفسهم في كل مرة وهم يخوضون الحرب ويبتكرون وسائل جديدة لها، وبهذه الملكة الإيمانية تفتح أبواب الإبداع والعمل وتخاض المعامع على دراية وعلم، فلا تضيع الفرص ولا يستهان بمقدرات الأمة النفسية والمادية فيتم إضاعتها في غير طائل ولا فائدة.

الوعي بوسائل الصراع وحقيقتها الشرعية؛ هو الضابط الأمثل لعدم إهدار الطاقة وتشتيتها.

ثقافة الفرد هي صمام الأمان بما يتعلق بوسائل الحرب وفنونها كي لا يخلط بين ما هو غاية يجب تحقيقها وبين الوسيلة التي هي سبب في تحقيقها والموازنة بين هذين الأمرين يكسب المرونة في تشكيل المجاميع العسكرية والمرونة في اختيار ميادين الصراع وفرضها على العدو، وهذا كله لتفادي استغراق

الوسائل على حساب الغايات، وكم أهدرت طاقات بسبب عدم الوعي وعدم التفريق بين الغايات الثابتة والوسائل المتنوعة والمتجددة .

3: تكون النظرية واقعية وقابلة التطبيق:

أكبر تحدي يواجه صناع النظرية الملهمة هو قدرتهم على تصور واقعيتها على الميدان وأكبر تحدي كذلك هو الموازنة بين البعد الحقيقي للنظرية والبعد الافتراضي لعدم طغيان جانب على آخر، وعلى هذا المحك الخطير تتباين الرؤى فيقع البعض في الجمود الحركي بسبب عدم استيعابه للجانب الافتراضي بحكمه مسرحا للمتغيرات ومن ضمنها الفرص الجيدة، ومثال ذلك المناخ الثوري وما يمثله هذا الجو من انفتاح آفاق واسعة للعمل، ويقع البعض كذلك في ضد هذا الجمود فيكون الانفلات الحركي فتقع الحركة في فخ التوسع الهزيل هذه كلها حقائق يعيها كل من تتبع مجريات المسار الحركي.

أما البعد الحقيقي فتقع إشكاليته الرئيسية في سبل السيطرة عليه وجعله أداة فاعلة، فلا يتم إهمال الطاقة الكامنة التي تعتبر الجمود حاجزا لها يجب تجاوزه، وهي حقيقة لو تم التغافل عنها وتسييبها ستؤدي غالبا إلى عكس التوجه الحركي العام، ومثال ذلك الطاقة الحركية المتقدة في شريحة الشباب، إذ لو تم إهمال هذه الحقيقة وعدم صرفها في وجهتها المفترضة وقع التذمر والخلل، ولا حائل إذا من وقف الدعاية المضادة في طريقها لهذه الشريحة، الطاقة الشبابية التي تمثل المخزون الرئيسي لأي حركة إذا لم يتم السيطرة عليها بطريقة حكيمة انقلبت على ضدها شئنا أم أبينا، فلهذا وجب وضع التوازن لوضع هذه الطاقة في حيزها المتسع لطموحاتها وهي سنة الله في خلقه، وهديه ﷺ خير علاج لو أبصرته العقول الملهمة [1].

هناك إشكالية ترتبط بموضوع السيطرة، وهي من أبعاد الواقعية الحركية، وتشكل مركزيات فرعية للمركزية الرئيسية، وحاجة هذه المركزيات للتواصل المستمر لضبط الحركة العملية وما يسبقها من

---

[1] – من هديه صلى الله عليه وسلم أنه كان يعير إهتماما لحماس المقاتلة معه، فكان يضع طاقتهم وحماسهم في الإطار المستوعب لها حتى لا يقع التذمّر كما ذكر أهل السير عند محاصرته للطائف والقصة كذلك في الصحيحين وهي كما عند البخاري: (لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف فلم ينل منهم شيئا قال إنا قافلون إن شاء الله فثقل عليهم وقالوا نذهب ولا نفتحه قال مرة نقفل فقال أغدوا على القتال فغدوا فأصابهم جراح فقال إنا قافلون غدا إن شاء الله فأعجبهم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم) ولكن هذا الصنيع من النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي فهمه على أن القائد يجب أن ينساق مع مزاج الأتباع وخاصة إذا كان فيه مضرة على العمل الجهادي، فسياسته صلى الله عليه وسلم كانت توازن بين حماسة المقاتلين كأمر إيجابي وبين سلامة مقاصدهم ونفوسهم وعدم إهدارها في غير طائل، والحكمة البالغة هي استيعاب هذه الطاقة في صناعة المكاسب الدائمة وليست الزائفة.

منهجية شرعية، هذه المسألة تعد أحد أهم المسائل الشائكة والمعقدة في الحركة الجهادية المعاصرة، ولا سبيل لإهمال مناقشتها ما دام مقامنا في هذه القراءة هو التحليل والنظر ولعل الكلام سيمس أعلى مستويات «**النظرية الملهمة**» لخطر هذه القضية وما تخلفه من اختلالات عميقة تمس أهم المطالب الحركية وهي المركزية .

أهم هذه الاختلالات هو وقوع اختيارات ملحة ومضادة من طرف المركزية الفرعية لاختيارات المركزية الرئيسية في الوقت الذي تغيب فيه وسائل التواصل السريعة لضمان التفاعل المطلوب في الوقت المطلوب. هذه الإشكالية لو كانت قائمة وقاصرة على المسائل الفرعية كالمشاكل التي تخلفها أي حركة عملية لكان علاجها سيمس الجانب الفني وحسب، بزيادة صلاحيات المركزية الفرعية مثلا لتفادي الركود الإداري، ولكن الإشكالية لها أبعاد أكبر لأنها تطرح الثوابت والغايات ميدانا للتجاذبات، وهو ما يتعارض مع أهم أركان النظرية الملهمة، ألا وهو وضوح الغايات وضوح وسائلها.

سنكتفي بتوصيف الإشكالية وأبعادها دون الخوض في سبل علاجها لأن المرحلة تحتاج لتوصيف دقيق أكثر من حاجتها لرؤى متنوعة تزيد من تعقيدها، ولعل الله أن يلهم العقول الحكيمة والصادقة لما هو أرشد وأصوب والله الموفق لما فيه خير لهذا الدين.

نموذج حقيقي لإشكالية غياب السيطرة :

إبراز التضاد الحاصل في بعض النظريات التي تشترك مع نظرية الجماعة الرائدة في مصادر الإلهام المنهجي سيوضح الكثير من الإشكالات الناتجة عن ضعف السيطرة.

سنطرح نموذجا يمثل أهم وأقرب التصورات المشابهة لتصورات الطائفة الرائدة وهو مشروع «**دولة العراق الإسلامية**» والذي تحول إلى مشروع للخلافة هذا النموذج اخترناه لأنه على علاقة وطيدة بمن نعتقد فيهم النموذجية المتكاملة للجماعة الرائدة التي توفرت فيها جل معالم الريادة وهي «**جماعة قاعدة الجهاد**» أعزها الله وأبقاها على المنهج السديد، والكلام سيدور على علاقة هذه الجماعة بمن تبنوا مشروع «**دولة العراق الإسلامية**» وكذلك مشروع الخلافة.

1- مشروع الدولة:

عولمة الجهاد هي أهم معالم النظرية الملهمة لـــ«**جماعة قاعدة الجهاد**» تحت قيادية الشيخ أسامة بن

لادن رحمه الله والتي طرحت الفضاء العالمي جميعه ميدانا للصراع. مبدئيا كانت هذه الفكرة لتوسعة الأفق العملي الذي كانت أهم أولوياته ضرب المصالح الغربية وخاصة الأمريكية منها باعتبارها رأس الأفعى التي وجب قطع رأسها، هذا البعد الافتراضي الشاسع للنظرية الملهمة لـ«**جماعة قاعدة الجهاد**» جعلها تحرص كل الحرص على استغلال السياسة الأمريكية في حركتها للهيمنة وما نجم عنها من حروب ونزاعات لجعلها مفاتيح مناسبة للصراع يمكنها من خلالها حشد أكبر قدر ممكن من المسلمين في سبيل تحقيق غايتها المهمة وهي إضعاف الهيمنة الصهيوصليبية على مناطق المسلمين لرفع وصايتها وفرض الرؤى الإسلامية كمنهج حياة فيها.

هذا البعد الافتراضي بكل ما يحمله من أبعاد وثقل كان أهم مصدر إلهام لهذه الجماعة وهو ما ترجم لاحقا عند الغزو الأمريكي للعراق بتشكيل فرع لها في تلك المنطقة الملتهبة، هذا الفرع الذي على الرغم من عدم التدخل في عملية إنشائه إلا أنه أصبح أحد أهم فروعها في المنطقة بعد مبايعة **الشيخ الزرقاوي** رحمه الله ليعرف هذا الفرع تحت إمرته بـ"**قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين**" لتكون القيادة المركزية في خراسان تحت قيادة الشيخ أسامة والذي كان بدوره قد عقد البيعة **للملا محمد عمر** رحمه الله أمير **إمارة طالبان** أعادها الله بعزّ وتوفيق.

بعد مراحل ومخاض طويل في صراع مرير مع المحتل الأمريكي تشكلت قوى موازية للقوى الجهادية كان من أهم أجندات هذه القوى هو طرح مشروع الدولة ورغم أن هذه القوى كانت تحمل شعارات إسلامية إلا أنها لم تكن على وفاق مع الجماعة المجاهدة الأقوى وهي «**جماعة قاعدة الجهاد**» لتورطها في متاهات اللعبة السياسة التي كانت برعاية المحتل نفسه هذا الأمر ما جعل فرع لـ«**جماعة قاعدة الجهاد**» في العراق يومها بقيادة **أبي عمر البغدادي** ووزير حربه أبي **حمزة المهاجر** رحمهما الله، يعلنان عن «**دولة العراق الإسلامية**» كنقلة نوعية في مراتب الصراع والتي كانت المركزية في **خراسان** تحرص كل الحرص على عدم تجاوزها، هذه النقلة النوعية على رغم الجدل الذي أحيط بها إلا أن سببها الرئيسي هو كما برره مهندسوها وهم أمراء هذا الفرع أنه خطوة ملحة لحفظ ثمرة الجهاد من الضياع وطرح مشروع الدولة هو مقابل ما تطرحه الأطراف المشبوهة.

لن نخوض في حقيقة هذه المبررات وما تخلل هذه المرحلة من أحداث وليكن تركيزنا أكثر على هذه النقطة بالذات وهي الحقيقة التي مفادها أن هذا الفرع تقدم خطوة مهمة تتعارض مع ما تطرحه المركزية من ثوابت ومراحل محسوبة لتحقيقها.

والسؤال الأهم: هل استطاعت المركزية مراجعة هذه الخطوة أم رضيت بها كواقع، وعليك حينها أن ترى الخلل في الموازنة بين البعد الافتراضي والبعد الحقيقي لـ«**لنظرية الملهمة**» الخاصة بـ«**جماعة قاعدة الجهاد**».

ورد كلام توصيفي دقيق في كتاب الدكتور أكرم حجاري [دراسات في السلفية الجهادية][1] لهذه الإشكالية رغم أنه لم يكن يعالج موضوع المركزية وهو توصيف صحيح إلى أبعد الحدود كونه تحرى المصداقية في دراسته هذه وذكر أهم معوقات مراجعة هذا المشروع من طرف القيادة المركزية ليتضح لنا سطوة الواقع على المسار الحركي رغم اتخاذه التدابير والمحصنات داخل «**النظرية الملهمة**» الخاصة به يقول في كتابه: (بل إن التوصيف الموضوعي والدقيق لا بد وأن يسلم بالقول بأن «**دولة العراق الإسلامية**» لا يمكن لها أن تكون أو تظل أسيرة لمشروع القاعدة "وحدها" خاصة بعد الإعلان عنها ولعلنا نذهب أبعد من ذلك إلى الجزم بأن تعدد الجماعات المكونة للدولة زيادة على آلاف المبادرات الفردية التي التحقت بها معطوفا عليهم العشائر المؤيدة لمشروع الدولة "أكثر" من القاعدة فضلا عن الأنصار والمتعاطفين وذوي المصالح الذين ربطوا مصيرهم بالدولة يجعل من هذه الأخيرة ذات حصانة تستعصي على التفكك بمجرد قرار "تنظيمي إداري" فالدولة بمختلف مكوناتها السوسيولوجية وعلاقاتها الاجتماعية لم تعد ملكا للقاعدة ولا للبغدادي ولا حتى بن لادن أو الظواهري ولعل هذه المعطيات بالذات هي أكثر ما يثير حفيظة الخصوم الذين يصفونها بـ"دولة الإنترنت" وهو توصيف بحسب الخطاب السلفي الجهادي أقرب إلى الحسد والغيظ من قربه لأي واقع ") يعلق الكاتب في الهامش فيقول أن البغدادي يصف المناوئين لمشروع الدولة بالحساد ويعمل على تكرير لفظ باقية في خطابه لعدة مرات" انتهى.

الآن سنقوم بقراءة هذا التوصيف قراءة المتمعن لعلنا نقف على أهم الإشكاليات التي نتجت عن هذه النقلة غير المحسوبة على المركزية في **خراسان**.

جزم الكاتب بأن مشروع الدولة لن يظل أسير القاعدة وحدها وبرر ذلك بتنوع المكون الداخلي فيها والذي جعل لها حصانة من التفكك وذهب أبعد من ذلك عندما قال أنها لم تعد ملك القاعدة وقياداتها ويقصد عدم قدرتهم على مراجعتها وهذا يعني أن المركزية بمعناها الإداري التنظيمي لم يعد في مقدور القاعدة تفعيله بسبب اندماج أطراف لهم ثقل وسطوة داخل هذا الجسم الجديد.

الذي نستفيده من هذه القراءة أن الحركة الجهادية في مرحلة مسارها النخبوي تكون لها القدرة على

---

[1] ــ يعد هذا الكتاب من أهم القواعد البحثية لمن أراد أن يستوعب أكبر قدر ممكن من معالم المسار الجهادي المعاصر.

السيطرة لأسباب عدة منها البكارة التي تتمتع بها الجماعة وصلابة الوجدان الفكري والعقدي داخل أتباعها الذين يكون عددهم بالمقارنة مع مشروع الدولة قليلا مما يضمن كثافة العلاقة وصلابتها أما في حالة اقترابها من الجماهيرية المضعفة لصلابتها يجعلها أكثر عرضة لفقدان السيطرة، وكذلك انتقال القيادة لوجوه جديدة لم تتشرب المنهج القاعدي تشرب القيادة المؤسسة، أضعف من عامل الإلهام الذي تبثه القيادة الأصلية جراء متانة رؤاها و تصورها لأبعاد «**النظرية الملهمة**» الخاصة لجماعتها الأم.

هذه الأمور يمكن حساها ضمن الاختلالات التوازنية بين البعدين الحقيقي والافتراضي «**للنظرية الملهمة**».

2: مشروع الخلافة:

مشروع الخلافة الموهوم الذي تصدر مجريات الأحداث على الساحة الجهادية يعد أهم نموذج جهادي يشتمل على جميع المخالفات المنهجية والسياسية والعسكرية، وعلى هذا الاعتبار يمثل هذا المشروع المرآة الحقيقية و الصحيحة لما نسميه انتكاسة النظرية الملهمة.

اقتراب تنظيم الدولة بنظريته الملهمة لأهم النظريات الملهمة في الساحة الجهادية وهي نظرية أهل الريادة تجعل هذا الاقتراب أحسن ميدان للمكاشفة والذي على أساسه تستلهم الدروس والعبر وعلى هذا الاعتبار سنقوم بقراءة الملاحظات و وجوه الاستفادة منها.

أولا: وجوه الاقتراب:

لا يخفى على أحد أن تنظيم الدولة هو سليل «**جماعة قاعدة الجهاد**» وأحد فروعها الرسميين في العراق وعلى هذا الأساس كانت بنيته المنهجية والهيكلية والإدارية تخضع لما تمليه المركزية من إملاءات، حيث كانت هويته هذه كانت تتجاذبها الحقائق ومن هذه الحقائق غياب الجيل الأول من القيادات التي حفظت إلى حد بعيد تلك الهوية الأصيلة وبغيابهم بدأ التماهي في مسألة التبعية بسبب الأثقال المكونة لجسد هذا التنظيم. ومن هذه الحقائق كذلك سيطرة المذهب الأكاديمي على الجانب العسكري والذي بثه ضباط سابقون في الجيش العراقي التحقوا مع من التحق بالتنظيم من بداية مساره وهو ما أعطى التنظيم هيأة صلبة وأفقدته المرونة المطلوبة والمتناسبة وحرب العصابات، هذه الحقيقة كانت أحد أهم أسباب استهجان هذا التنظيم لاختيارات المركزية كونها بَنَتْ رؤيتها على المرحلية في التقدم.

هذه الحقائق التي ذكرت كانت أهم الأسباب التي أدت إلى تبلور الأفكار الانفصالية داخل هذا التنظيم والذي أصبح فيما بعد يرى أن التبعية تشكل عائقا يحول بين تحقيق «**النظرية الملهمة**» الخاصة به

والتي رآها تتناسب وقوته وطموحاته.

معالم «النظرية الملهمة» الخاصة بتنظيم الدولة:

بعد اندلاع الثورات الشعبية في عدة مناطق من العالم الإسلامي حدثت انتعاشة كبيرة على مستوى الحركة الجهادية أدت إلى انتقاله إليها كمناطق توفر مناخا جيدا للعمل الجهادي، هذه الضرورة الملحة التي كانت جميع التنظيمات الجهادية تقتنصها أوقعت نقطة المفاصلة بين تنظيم الدولة وقيادته المركزية لأسباب يطول شرحها ولكن المهم هو وقوع التنافر الحقيقي بعدما كانت ظروفه و أسبابه متوفرة وكامنة في تنظيم الدولة، وهذا التنافر والانفصال وقع ترجمة لما أملته الحقيقة المؤكدة وهي تنافر النظريتين الملهمتين لتصبح لهذا التنظيم نظريته المستقلة تمام الاستقلال وهو ما ينبئ بتميزها بمعالم مغايرة تماما.

إذن ما هي هذه المعالم ؟

* أول هذه المعالم هو ضرورة التمايز لخلق الوهم بأحقيته للريادة.

* ثانيا طرح الخلافة كأهم مطية للتمايز ووضع الوهم بطرقه للغايات السامية لتقمص دور الريادة.

* ثالثا تبرير الانفصال بنقاوة منهجه وسقوط جميع المناهج الأخرى.

سنكتفي بطرح هذه المعالم بالشكل الذي بين يدينا لأنها حقائق واضحة وضوح الشمس وهي حقائق كان التنظيم يصرح بها ويعمل على تحقيقها بكل الوسائل.

الآن على القارئ أن ينظر إلى هذه المعالم وينظر مدى اقترابها من معالم الطائفة الرائدة إن لم نقل أنها هي نفسها!!!

الدرس المستفاد من هذه القراءة أن **تنظيم الدولة** كان يعلم جيدا مفاصل الهدم والتي استعملها بكل إجرام في حق أهل الجهاد، فراح بسياسته يصنع بناءه بهدم الأبنية العتيقة وراح يصنع المصداقية بالطعن في مصداقية الشرفاء الذين أجمعت الأمة على صدق دعوتهم، وهو درس كتبه **تنظيم الدولة** بدماء الآلاف من الأبرياء والمعصومين، وهو درس عميق الدلائل لمن أراد أن يعتبر وحقيقة هذا الدرس تقول:

أولا: إن للطائفة الرائدة أشباه مقتربين منها وجب التمايز عنهم لأنه لا يوجد مانع من تكرر نموذج الدولة إذا توفرت أسبابه وظروفه ولا يشترط أن يكون بصبغة الغلو لأن معالم الطائفة الرائدة كشعارات هي سهلة التناول وخاصة إذا علمنا أن الغرب الكافر يدرك هذه الحقيقة فهو لا يتردد في خلق ودعم هذه المشاريع إذا تقاطعت غاياتها مع هدفه الأكبر وهو استئصال الطائفة الرائدة الحقيقية.

ثانيا: إن «**النظرية الملهمة**» الخاصة بالطائفة الرائدة في بعدها الحقيقي يجب أن تستوعب الحقيقة التي تؤكد أن الاقتراب من الجماهيرية يحتاج لأشكال أخرى من العمل لضمان السيطرة.

ثالثا: إن «**النظرية الملهمة**» في بعدها الافتراضي يجب أن تتنوع فيه التصورات عن شكل الكيان السياسي الحاضن حتى لا تتقلص الخيارات وميادين العمل والبعد كل البعد عن الأشكال التقليدية كالدولة كخيار ضيق تحده الإرادات المحاربة من كل الاتجاهات.

الآن نذهب لوضع صورة لأهم التجاوزات المنهجية والسياسية والعسكرية التي وقع فيه أصحاب **مشروع الخلافة**.

العطب الذي أحدثه **مشروع الخلافة** المزعوم على مستوى المسار الجهادي العام لا يمكن تصور حجمه، وهذا العطب جاء في الوقت الذي كانت فيه الطائفة الرائدة تمشي بخطى ثابتة وموزونة تثبت في كل مرة صحة التصور الجهادي وأدواته في سياسة الصراع ويمكن القول بأن النظرية الملهمة للطائفة الرائدة كانت على قدر كبير من التوازن بين بعديها الحقيقي والافتراضي لحرص ووعي القيادات الراشدة بضرورة المرحلية وعدم القفز على الحقائق.

ولكن هذه الحالة من الاتزان ولا شك إذا ما أردنا إسقاطها على المسار الذي لا زالت مراميه بعيدة سوف نكتشف أن اتزانه سوف يزيد، ولكن باحتكاكه بالأحداث، فنضوجه يتزايد بتقدم مراحل الصراع وهو يواجه عقبات جديدة لم تكن لتبرز لولا تقدمه وخاصة إذا عُلم أن عالم اليوم هو عالم المتغيرات فلهذا تكون حالة الاتزان اليوم مختلة غدا لبروز عائق مفاجئ، وصورة الاتزان اليوم لم يُحكَم عليها بالاتزان إلا بعد أن وقع الاختلال بالأمس وذاق الجميع مرارته، إذن فالفكر الجهادي ينضج خلال حركته، فهو يعمل ويصطدم، ولكنه يحوّل الصدمات في كل مرة إلى عتبة للسمو لتكون هذه العتبات سلما للرقي وتمام النضوج.

ما سنذكره الآن هي علامات ثبت تكررها على ميدان الصراع تكون بعون الله دليلا يتوسم به ويستشعر به صلابة الأرضية وموطئ القدم حتى لا تلدغ الحركة الجهادية من الجحر مرتين.

أولا: على المستوى المنهجي:

الذي وقع من ممارسات من طرف **تنظيم الغلاة** لا يمكن تبريره وفهمه إلا إذا تصورنا مدى حرص هذا التنظيم على صنع الريادة لنفسه دون اعتبار لحقيقة هذه المرتبة وهو ما يفسر انتهاكه لأهم شروطها

فكان من جناياته الكبيرة محاولته إسقاط وتحريف جميع الثوابت الشرعية والعرفية التي على أساسها بنيت قواعد الحركة الجهادية برمتها ليتفرد بالريادة دون منازع، ولشرعنة هذه الانتهاكات راح يطعن في دين وعقيدة المخالفين في محاولة منه لاسباغ هذا التفرد بتقمص الطهرية المطلقة، وعلى هذا الاعتبار وقع الانحراف ليُختزل الإسلام والجهاد في هذا التنظيم الذي أشرب هذه البدعة حتى تمكنت من جميع أجزائه لتتعاظم الرابطة بين أفراد هذا الكيان إلى حد القداسة المتبادلة كمصدر إلهام لا ريب فيه وهو ما جرأ التابع والمتبوع على امتطاء النصوص الشرعية وليّ حقائقها لتتناسب وأهواءهم حتى ظنوا أن طَرق أكبر الغايات ورفع شعارها **كشعار الخلافة** سيكون نقطة الحسم مع خصومهم القابعين في التيه حسب تصورهم، ولكنهم خابوا وخسروا لأن الصرح الذي شيده آلاف الشهداء بدمائهم وأشلائهم لن تضعضعه قفزة قزم في آخر الركب ولن تشوش صرخاتهم نظرة العارفين الراسخين في العلم الذين بنو بنياهم على قواعد متينة وعلموا أن هذه الصرخات ما هي إلا صرخة ساحر ﴿**وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**﴾

القداسة أنشأت الغلو في الحب وهو ما أعمى الأبصار عن رؤية الباطل وهي كذلك من أنشأ الغلو في الكره وهو ما أصم الأذان عن سماع الحق.. تيه وغرق في أوهام صنعتها دعاية كاذبة ذهب ضحيتها شباب لم يتربوا في مدارس البلاء والمحن و لم ينهلوا من معين الأخلاق والصبر فطاشت أنفسهم طيشان أحلامهم فراحوا يعبثون في مقدرات الأمة ظنا منهم أنهم على الحق ويا بعد الحق ودربه عنهم ويا بعد النصر والتمكين عنهم.

منهج الغلاة لصناعة النصر هو منهج منتكس على عقبيه، لا يبني شيئا حتى يهدمه، ولا يقول شيئا حتى يخالفه، ولا ينهى عن شيء حتى يفعله، هذه هي فلسفة الغلو نار تأكل بعضها لا نماء ولا بركة كالأفعى تقصر بزيادة سمها أعاذنا الله من شر الأشرار وسفاهة الفجار .

على الطائفة الرائدة التي تحمل لواء الحق أن تحذر من ألوية الزور وما شابهها وما أقترب منها، فالباطل في هذا الزمان يتلون ويتموه.

فالله الله في الأمانة، والله الله في الرسالة، يا أهل الريادة الصبر مفتاح الفرج والنصر قابع وراء المحنة والله وليه وكافله فلا تستعجلوا وتستبطئوا فيركب دربكم من ليس منكم فيُعطِّل جِدَّكُم ويبعثر جهدكم.. القصد القصد تبلغوا بإذن الله.

هذه بعض الملامح نضعها كعلامات على درب الريادة ليتوسم المجاهد محيطه فلا يغتر، وليتثبت موطئ القدم فلا يزل، و هي علامات تكرر حدوثها على الساحة الجهادية تنبئ بمسالك الباطل ليحطات

منها المرء لنفسه ودينه.

- إذا وضعت الثوابت المنهجية كالولاء والبراء مقابل اختيارات الرموز وبدأ التبرير بوضع هذه الثوابت في مرتبة أقل من مرتبتها الحقيقية فاعلم أن الانحراف بدت بوادره.
- إذا وقع الغلو في الحب والغلو في الكره؛ فاعلم أنها علامة الغلو في الدين وهي الجو الأنسب لفشو قداسة الرموز.
- إذا لم تلتمس الورع في مسألة البيعات والاستهتار بها، فعلم أن الذي يواجهك عنده قابلية التحول والمفاصلة .
- إذا رأيت من يحمل شعارا إسلاميا وليس له سابقة في ميدان المحن والبلاء فتريث في الاقتراب لأن سقوط رايته المحاكة بالشعارات داخل معسكرك سيضعف من لمعان رايتك التي حيكت بالدماء والأشلاء

ثانيا: على المستوى السياسي:

المنهج الضال هو منبع جميع التصرفات الخاطئة لأن أصحاب الفكر المنحرف لا يتصور في أبجدياتهم وجود حدود وضوابط تقيد الأقوال والأفعال لتصبح المصلحة الراهنة هي مربط النظر وتحقيقها بأي طريقة هي السياسة الشرعية لا فرق بين ملحد لا يتورع في تحقيق أهدافه بأي وسيلة كانت وبين من يلوي أعناق النصوص ليبرر بها قبيح الأفعال، هم على مرتبة واحدة في التبرير المشين، فعلى هذه المعايير تفهم سياسة المنحرفين، فلا يغتر المرء بالشعارات التي تلوكها ألسنتهم بل العبرة بما تقترفه أجنادهم على الأرض فهي مرآتهم وصورهم الحقيقية.

أثبتت التجارب أن الغلاة في باب السياسة هم أقبح من ساس الأمة لقبح سرائرهم فلا تجد عندهم عهداً ولا ورعاً ولا ذمةً ولا أماناً ولا شفقة، نفوسهم مريضة وعقولهم عليلة لو أردت أن تفهم نفسية هؤلاء فلا تكاد تفهم منها شيئا إلا شيئا واحدا وهو أنهم أبعد الناس عن صياغة مشروع معين لأن تركيبتهم غير توافقية وأذهانهم غير سوية وفطرهم منتكسة الثوابت فلهذا لا يستقر لهم اتجاه معين ينبئك عن مسارهم، والمهم في كل هذا أنهم أمة لا تستطيع العيش والنمو إلا في جنب الكيانات، فهم أقرب إلى الطفيليات التي تتطفل على غيرها في العيش فلهذا وجب الحذر من هذه النابتة فهي سرعان ما تكبر وتتعاظم في وقت وجود الفراغات السياسية التي تعجز الجماعات المجاهدة عن سدها أو طرح وضعية تناسبها، فيخرج قرنهم ورائدهم دائما على شكل بديل ولكنه مزور بثياب زور ليعلن أحقيته، ولطالما

استغل أعداء الجهاد هذا الطفيلي ليصنعوا منه عقبة كؤودا أمام الحركة الجهادية فيتم توجيههم بطريقة تتناسب وتشويه مشاريع الريادة الحقيقية، ولهذا وجب معرفة علاماتهم وسماتهم السياسية ليتم المفاصلة معهم قبل أن يحتد قرنهم، ويصبحوا معول هدم في خاصرة الجهاد المبارك.

من علاماتهم و سماتهم السياسية:

- المبالغة في إعمال المناورة السياسية دون امتلاك الثقل العسكري المثمر وليس الاستعراضي، فهي علامة ضعف في الخلفية المنهجية التي تقيد الفعل والقول على حد سواء.
- الغموض في المواقف الشرعية من مختلف الأحداث وخاصة الهامة منها يعكس الغموض في فكر القيادة، لأن مواقف القيادة وصلابتها والتزامها بالثوابت يقاس بتفاعلها مع لوازم الريادة.
- التركيز على تحقيق الانتصارات الرمزية دون مراعاة حجم الخسائر البشرية دليل على هشاشة البناء وقصور في فهم أبعاد الصراع.
- إذا كان المزاج العام للأتباع يؤثر في صياغة السياسة الحركية فاعلم أن القيادة تفقد السيطرة وهي ما عبرنا عنه بقداسة الأتباع.
- وجود انعطافات حادة في السياسة العامة مع غياب المبررات يدل على هشاشة وعدم استيعاب الثوابت كمرسخ ثقيل للسياسة العامة.

ثالثا: على المستوى العسكري:

على المستوى العسكري يجب التنبيه على أن الذي ثبت انتهاجه كأسلوب قتالي مناسب في مواجهة الجيوش النظامية هو أسلوب حرب العصابات وهو ما تلجأ إليه الجماعات الثورية والتحررية التي خرجت على نظم تمتلك قوات منظّمة تفوق غالبا قوة العصابات، وعلى هذا كانت فكرة المواجهة تعتمد نظريا في مسارها على ثلاثة مراحل وهي :

1- مرحلة الاستنزاف: وهي العمل على زيادة خسائر العدو بشن هجومات كثيرة ومتفرقة وغالبا ما تكون تكتيكات هذه المرحلة صغيرة وقصيرة تتناسب وقوة العصابات يسهل معها التملص من قبضة الجيش المنظم والذي يحرص أكثر على المواجهة لحسم المعارك.

2- مرحلة الموازنة: ويقصد بها حصول الموازنة بين الطرفين ولكن تكتيكات هذه المرحلة يقع فيها المزج بين التكتيك القصير والتكتيك الطويل التي يستهدف بها نقاطا أكثر تحصنا وأكبر حجما ولا يشترط في هذه المرحلة أن تسيطر العصابات على الأرض إلا ما تتخذه قواعد خلفية وهي عادة مناطق محصنة

طبيعيا.

3- مرحة الحسم: وهي آخر مراحل الصراع المسلح والتي تسبق السيطرة الكاملة، وهي تتصف بقدرة العصابات على السيطرة لغياب القوات المعادية وتقهقر قواها تدريجيا إلى غاية الانهيار الكامل.

هذه المراحل الثلاث هي أهم المراحل التي سارت عليها معظم الصراعات المسلحة، وهي مراحل لا بد من حدوثها ما لم يحدث تدخل عوامل أخرى تكون في صالح أحد الطرفين.

ولكن المهم ذكره في هذا الموضوع هو أن حرب العصابات كأسلوب قتالي ناجح ألجأ القوى المنظمة لدراسة هذا النوع من الحروب كمحاولة لوضع وخلق تصورات مناسبة لمواجهته مما أكسب المذاهب العسكرية الأكاديمية نوعا من المرونة تجاه هذا النوع من الحروب، والذي ثبت بالتجربة أنه أسلوب غير تقليدي كما هو شائع في المواجهات العسكرية وعلى هذا الأساس تم وضع خطط مضادة تعمل بالأساس على إرباك المرحلية العملية التي تعتمد عليها العصابات وأخطر هذه الإرباكات هو دخول حرب العصابات في مرحلة متطورة قبل استيفاء شروط المرحلة الراهنة وأكثر ما يصيب العصابات في هذه المكيدة هو **"الانتشار الهزيل"** وهو نقطة ضعف قاتلة.

لنركز جيدا على هذه النقطة الأخيرة لننظر في أهم تجلياها على الواقع ومدى خطر القفز على المرحلية وكيف يتم استدراج العصابات إليها.

تعتمد خطة الإرباك على توسيع نطاق السيطرة الخاص بالعصابات وذلك بجعل هذه المناطق في متناولها كطعم استدراج لتشتيت قدراها وإفقادها القدرة على الحسم المرحلي مما يزيد من عبء العصابات ودخولهم في متاهات السيطرة، وكما لا يخفى على أحد الهشاشة الأمنية في هذه الوضعية لسهولة اندساس المخبرين والعملاء.

تتجلى خطة الإرباك كذلك في جر العصابات إلى مواجهات فيما بينها وهذا في حالة تنوع المكون الثوري وذلك باستدراجها لمناطق رخوة لخلق الاصطدام بينها، وتأجيج الصراع يتم أحيانا بتغذيته بوضع أسلحة معينة في متناولها أثناء الانسحابات.

تقاطع مصالح القوى العالمية مع بعض التراعات في مناطق نفوذها يجعلها المهتم الرئيسي لزيادة شدة الصدام وتغذيته لحساب طرف معين ليكون تفوقه المرحلي يتناسب وخطط هذه القوى، فلا غرابة إذن أن نلاحظ ممارسات مشبوهة وخفية تتخلل هذه الصراعات وما دامت مناطق الصراع اليوم تدور معظمها في البلاد الإسلامية. وجب على الطائفة الرائدة أن تعي لعبة الصراع جيدا، وخاصة في جانبها العسكري،

حتى لا يتم استتراف قدراتها في صراعات جانبية ولعلنا ننبه لأهم صور هذه الإشكالية.

جميع هذه الحقائق طبقت على جماعة الغلو فانساقوا معها بكل ثقلهم فكان أن تم إضعاف قوتهم واستغلال خلافاتهم مع المكونات الثورية الأخرى لتشتيت قوتهم.

هذه النقاط التي سنذكرها هي أهم علامات خطة الإرباك التي يتم وضعها كخطة مضادة:

- إذا تمتعت جماعة معينة بروتين عملياتي متزايد في أول مراحل الصراع، وهذا التزايد لا يتناسب وقدراتها فاعلم أن هذه الجماعة متورطة أو يتم استدراجها أو استغلالها.
- إذا كانت انسحابات القوى المعادية عن مناطق سيطرتها دون مقاومة اعتيادية فاعلم أن العدو يقوم بخطة الإرباك أو استدراج الأطراف المختلفة للاصطدام.
- إذا تم استعمال سلاح تكتيكي متطور من طرف أحد الأطراف رغم فقدانه في الساحة وهذا السلاح ليس من جملة الترسانة الحربية للعدو فعلم أن طرفا خارجيا سهل وجود هذا السلاح.

وفي نهاية هذا المبحث الذي عالجنا فيه المنهجية الصحيحة لتطبيق «**النظرية الملهمة**» نؤكد على ضرورة معاودة النظر دائما في آليات التقدم لأن المحيط والأرضية المعاصرة التي يرتكز عليها المسار تحتوي على كثير من المتغيرات، والتي مازلت -إلى حد اليوم- يتحكم في إثارتها خصوم الحركة الرائدة.

وقاعدة العمل التي يجب أن تكون عنوان المرحلة هي "لا جمود يذهب الفعالية ولا تماهي يذهب المصداقية"

والله ولي الذين آمنوا.